

# أرض الإمام

نعمات

\* ما يُرى به الأشياء \*

محمد السيد



# أرض الإمام

نعمات

\* ما يرى به الأثيَاء \*

محمد السيد



نوع العمل : رواية

الكاتب : محمد السيد

تصميم الغلاف : المشرقة

تعبئة وتنسيق : منى وجيه

هذا العمل تم تحت اشراف فريق

كيان اللا رواية للنشر الاليكتروني

لينك الجروب

جروب اللا رواية

لينك البيدج

اللا رواية للنشر الالكتروني

إن تم تحميل هذا العمل من موقع آخر أو مكان آخر فيعد إنتهاكا لحقوقنا وسرقة أعمالنا وسرقة حق المؤلف



## مُقدمه

كما تعلم كل الأشياء نسبيه لا يوجد شيء في الوجود مُطلق، لا يوجد شيء أبدي، و تغيير المنازل أمر طبيعي لا يسعك أن تُظهر ما حل بك من تغيير في توجهاتك الفكرية، الدينية، العاطفية أو العلمية. لا يهمني أن تنظر إلى ما طرحه عليك من أفكار على أنها قواعد طبيعية يجب أن يسير عليها الكون ولا أريدك أن تكون سطحي إلى هذا الحد، هي أفكار قد تنفع شخص و تُغير من حياته للأفضل، و قد لا تعطى نفس النتائج لشخص آخر، بداية لا أريدك أن ترى تلك الدنيا الموجودة بين الصفحة الأولى و الأخيرة من هذا المؤلف بعين الكاتب، أريد أن اراها انا عن طريق عين كل قارئ.



اعطيك بعض الأمثلة العشوائية على أشياء أكثر  
عشوائية من تلك الأمثلة:

شخص هو الآن من السكرى، لا يفارق كأس  
الخمير يده وقد كان في السابق من الدعاة إلى  
الفضيلة.

تلك الطالبة الجامعية المتفوقة التي سوف تُصبح  
دكتورة جامعته بعد قليل هي في السابق البائعة  
التي عرضت عليك المناديل غير مره على  
"كوبري عمر افندي"

هذا الطفل الذي جعله الله قرة عين لوالديه هو  
الذي قتلها فيهما بعد.

تلك الشحاذة التي طرقت بابك منذ سنوات هي  
صاحبة أكبر محل لبيع نوع من المنتحبات في  
المحافظة.



الرجل الذي فتح الله عليه ابواب الرزق في الماضي هو الآن الذي يتكفف الناس لكي يجد قوت يومه.

الكثير من النجوم التي تراها في السماء متوهجة، لا أثر لها اليوم لقد انفجرت منذ زمان بعيد.

و تلك الأمثلة التي قد يظهر لك ارتباط بينها ليست كذلك.

كل هذا يجعل من الفكرة "مستقبلنا هو ماضٍ لأشخاص آخرين و ماضينا مستقبل لبعض هؤلاء الأشخاص" و هي التي لا تفارق ذهني حقيقته ملموسه. و يحزنني كثيراً أن يحاول شخص ربط أشياء عشوائية بعلاقة سببية لا وجود لها إلا في مخيلته فقط.



لا يثير دهشتي ربط النتائج بالمعطيات الخاصة  
 بها، عندما يتحدث أحد الخبراء عن تأثير القنبلة  
 الذرية التي أقيمت على مدينتي "هيروشيما" و  
 "نجازاكي" و عن الخلل الجيني الذي وقع بأحفاد  
 سكان تلك المدن فهو أمر طبيعي لا يثير دهشتي  
 إطلاقاً. و ما يجعلني غير راض إطلاقاً محاولة  
 بعض الأشخاص التفنن في موضوع الحسد

أعلم أن الحسد ذُكر في كتب الأديان، ولكنه ذكر  
 مُبهم هل تعلم عزيزي القارئ لماذا ذكر هكذا؟  
 ذكر مُبهم لا توجد علامات أو آثار على حدوثه،  
 لماذا ذكر هكذا؟، الله أعلم

لكن ما لا يمكن لي أن اتقبله أن يجعل الناس من  
 الحاسد و من الحسد قوة إلهية تستطيع أن تقلب  
 حياتك رأساً على عقب، أن تفرق بين الرجل و



زوجته، تجعل الأبناء متمردين على والدهم و  
 عاقين له، تقتل، تمنع الرزق، أن تقتل البنين،  
 تفتك بأخلاق البنات، تجعل من الأرض الخضراء  
 أرض بور، لا يتبقى سوى أن يُنسب إلى الحاسد  
 أنه يُميت بسوء عينه. وقد حدث غير مرة  
 بعض الكوارث الطبيعية و ما أحنني أكثر من  
 حزني على ما أصاب الناس هو محاولة بعض  
 الأشخاص تكيف تلك الكوارث الطبيعية على أنها  
 عقاب من الله عز وجل لهؤلاء الناس!

أجل اقولها بصدق، لك أخذ العظة من كل ما ينزل  
 بالناس ولكن لا يحق لك أن تتأله على الله و تحدد  
 اسباب كوارث لا يعلم أسبابها المبهمة إلا الله، لا  
 أريد أن يجيبي أحد هؤلاء الأشخاص الذين





اتخذوا هذا الموقف في تلك الكوارث على  
التساؤل الآتي

ما هو تفسيرك لانفجار بعض النجوم وبقاء  
البعض الآخر يدور و يرسل الحرارة والضوء؟  
ولكني أريد أن يترك كل قارئ العنان لأفكاره و  
يتركه من اوثان الفكر التي ظهرت في آراء بعض  
الأشخاص عديمي المبدأ

عسى الله أن يوفقنا لما يحبه، و اختتم تلك  
المقدمة بالصلاة على النبي الشافعية كما ذكر  
الإمام الشافعي كتابة "الرسالة:"

- اللهم صل أفضل صلاة على أسعد  
مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه و بارك عدد معلوماتك و مداد



# كلماتك كلما ذكرتك ذاكرون أو غفل عن ذكرك الغافلون

\*\*\*



## إهداء إلى

الرفيق المجهول للناس، المعلوم علم اليقين  
لنفسى

كل من استطاع أن يتعايش بعد النجاة من  
الضربات القاتلة

المستضعفين في الأرض

يبقى الإهداء الأبدى الى روح المغفور له بإذن

الله تعالى عمى الاستاذ حسن عبدالعال حجازي

و الله من وراء القصد و الله ولي التوفيق



استيقظت على صوت رنين هاتفها المحمول، وقد كان وقت قرآن الفجر و كان صوت القارئ محمد صديق المنشاوي العذب يعلن انتهاء سكون الليل و كان يرتل بعض الآيات من سورة النور " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ۗ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۗ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " هي لم تهتم مثل سواد الناس في تلك الفترة لهذه الحادثة العظيمة التي سببت الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم و أم المؤمنين عائشة، لم يردعها قرآن الفجر عما كانت تفعل في كل مرة مذ تم طلاقها من "جمال" كانت تستيقظ كل يوم في هذا الموعد لتؤدي فريضة الصلاة التي كتب الله عليها في الأيام التي



تصلى فيها المرأة، و بعد إتمام الصلاة كانت  
تُحضر «الحشيش» و قد ورثته عن عمها  
وتحضر بعض السجائر و تفعل كمان كان يفعل  
ابنها في الشغل و تتناول هذا الخليط:

-بسم الله، توكلنا على الله، اللهم افتح لنا ابواب  
الرزق.

و كانت مقتنعة بما لا يدع مجالاً للجدال أن  
«الحشيش» هو ينبوع الخير و مكن السعادة  
الذي سوف يأخذها من عثرات الدنيا إلي ملكوت  
السلام، ولا يخرجها من هذا الملكوت إلا ذهب  
الأثر الذي يتركه «الحشيش» فيعود بها إلي  
ضغائن الناس، حقدهم، كرههم، خطاياهم،  
وشهواتهم التي تمنعهم من دخول الملكوت ،  
كانت تظل في الملكوت حتي تذهب إلي محل



أبيها الشيخ "حامد" لتفتحه و تُعد الفول لسكان تلك المنطقة، و تظل تعمل حتى يحين موعد صلاة الظهر و تعود إلى دارها الذي ورثته هو الآخر من عمها "الدكتور"

في هذا اليوم لم تُصلِ الفجر لحكمة يعلمها الله وحده ولا يعلمها أحد إلا الله، لم تفعل لأنها تمر بالفترة التي أمر الله فيها النساء ألا يفعلن العبادات من صوم و صلاة و نحوه. بعد أن تناولت الخليط الذي سبق و أعدته، دخلت إلى الحمام و استحممت و بدلت ملابسها التي استيقظت بها من النوم و ارتدت ملابس العمل، بنظرون أزرق و تي شيرت أسود كلاهما واسع حتى انه يتسع لأن تدخل معها واحدة أخرى في نفس قوامها، و كانت تستبدل الحجاب الأنثوي



بوشاح ابيض يضعه سُكَّان البادية على رأسهم  
 يقيهم حر الشمس، لأنها تعلم أن التخلي عن  
 الحجاب في قرية مثل قريتها أمر شبه مستحيل  
 ولو انها استطاعت و تخلت عن الحجاب لن يأت  
 إليها أحد يبتاعها طعامه، هي تعلم علم اليقين أن  
 حجابها الآن يساوى قوت يومها،

لو هي نزعت الحجاب سوف يقل حجم الأموال  
 التي تدخل إليها و هي الآن في أمس الحاجة إلى  
 كل مليم يدخل إلى ذمتها، الحشيش الذي ورثته  
 عن عمها قارب على الانتهاء و هي لا تريد أن  
 تعيش الأيام بثقلها تريد أن يمضى بها قطار  
 العمر إلى محطته الأخيرة ولكنها تريد "جمال"  
 قبل أن تصل إلى تلك المحطة، كما كانت تقول له  
 دائما:



-أتمنى أموت و انت جنبي، أخاف أموت وحدي  
 مرعوبة من الحساب، أخاف اقابل ربنا وحدي.  
 و كان هو في أغلب الأحيان لا يرد عليها فقد كان  
 يعكر صفو رأسه الديون التي أصبحت مُستحقة،  
 مصروفات مدارس الأولاد، مصروفات الدار،  
 ملابس الأولاد، ملابسها هي علاجها إذا مرضت،  
 و كان يرد عليها قليلاً عندما تشرع في هذا  
 الحديث:

-ضروري تقابلي ربنا وحدك، هو ارحم بك مني  
 و من الناس أجمعين  
 و كانت في كل مرة تغضب بسبب هذا الرد و كان  
 هو يعلم هذا جيداً ولكنه كان يعطيها نفس الرد  
 في كل مرة تتكلم بهذا الكلام الذي لا يملك أن  
 يغير منه شيئاً لقد حسم الله عز وجل الكلام في





هذا الموضوع عندما أنزل من القرآن " إِنَّ كُلُّ  
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا  
 93 لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا 94 وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ فَرْدًا. "

و كانت تنتظر من جمال أن يرد على الرسائل  
 التي تكتبها له في كل يوم ولكنه كان يرى تلك  
 الكتابات و يُلقي الهاتف كما فعل في المرة  
 الأولى، و هي كانت تطمئن فهي تعلم بما لا يدع  
 مجالاً لديها للشك، أنه ما دام يقرأ تلك الرسائل  
 فهو بالكاد على قيد الحياة. و هذا ما كانت تريد  
 أن تعرفه في كل مرة، لأنه غادر القرية في يوم  
 كانت تظنه أصعب الأيام عليها ولكنها لم تعلم أن  
 الأصعب آت إليها من كل حدب وصوب، المخدر  
 الآن أصبح أقل من الفترات الماضية و اترفع



ثمنه فأصبح إيراد المحل في يومين يجلب لها ما يُعد سيجارة واحدة، عندما ارتفع الثمن هكذا ظلت تحدث نفسها قائلة:

"إذا كنت وضعت بعض ما تركه عمي ف، لو تركته في المخازن كما كان كنت أصبحت الآن من الأثرياء، إخراج تلك البضائع و توزيعها على طالبها بالمجان هو أكبر خطأ في حياتي" ارتفع صوت في رأسها و قال:

-أليس الخطأ الأكبر هو خسارة كل الأراضي التي أخذها عمك من مالكيها؟! !

وظلت هي هكذا تندب حظها على ارتفاع ثمن المخدر، و على جودته التي أصبحت رديئة، حتى راودتها فكرة علمت أنها سوف تجعل "جمال" يرد على رسائلها:



"ابنتا مات بسبب اهتمام كل فرد مننا بنفسه،  
 ليه كان مش مهم عندك أمره، قتلناه بسوء  
 العشرة بيننا. و اظن أننا نخسر أخته هي  
 الأخرى. أنا لقيت مخدرات في الشنطة بتاعتها  
 فيها الهباب اللي كان ابنك بياخده و كان سبب  
 موته. لازم تكون عندي هنا في اقرب وقت،  
 يمكن نعرف نلحقها قبل ما تحصل أخوها."

عاد "جمال" من العمل فوجد تلك الرسالة، القى  
 الهاتف:

-هروح ليها الصبح، يوم زي الزفت أصلا، يختم  
 بالرسالة دي، لازم البنيت دي تعيش مش عاوزها  
 تموت زي ما مات أخوها.

تحرك جمال في ظلام الليل، ووصل إلى القرية  
 أثناء صلاة الفجر و ذهب إلى المحل فوجدها



جالسه و الباب نصف مُغلق و كانت تُجهز  
 سيجارة لتدخنها قبل العمل، فتح "جمال" الباب  
 دون أن يستأذن، و ما إن نظرت إليه حتى  
 انتفضت و ألقيت بالطبق الذي كان يحتوى على  
 الخليط التي كانت تحشو به السيجارة و نهضت  
 من جلستها تُلصق ظهرها بالحائط و تحاول أن  
 تختفي من أمام عينيّه، و هي تقول بصوت  
 مهزوز:

-آخر مره ، و الله هي المرة الأخيرة، أنا أساساً  
 بطلت و دي حته كانت معايا و قولت حرام ارميها

-فين البت؟

-هي بخير، كنت بس عاوزة اطمن عليك يا سيد

الناس وار.....

قاطعها:



-لا، هي مش بخير، و مش هتكون بخير و هي ساكنه في دار واحده زيك

-قولي، انت ساكن فين دلوقتي؟ قولي بتجيب الفلوس اللي بتبعها للبنت منين؟ مش مهم الفلوس، انت كويس؟

نظر إليها باشمزاز :

-مش مهم، كل ده مش مهم، و مش هيغير من الوضع الحالي شيء، فين بنتك، اللي انا جاي اشوفها؟

-عشان تبقى عارف، انت السبب في كل اللي احنا فيه دلوقتي، أنت اللي ساعدت عمي زمان لو انت معملتش كدا زمان ما كنا نقف دلوقتي في الموقف ده كانت أمي دلوقتي حيه ترزق، ما كان



"حسني" صاحب الجرار الزراعي قتل أبويا و

أمي و أحمد، فإكر أحمد؟

قال وقد ضرب التسجيل الذي كان يعمل فألقاه

على أرض المحل:

-انا اللي بوظت حياة سكان القرية.....

صمت قليلاً ثم أكمل :

- مش وقته الكلام ده، لأنه كلام لا بيقدم ولا

بيأخر. البنت بخير؟

- هي بخير، و الله هي بخير

نظر إليها ولم يجبهها و هم في الانصراف

فأمسكت بالثوب الأسود الذي كان يرتديه:

-خليك معانا أنا وبنتك قضي اليوم هنا ، و سيب

البلد و سافر بعد غياب الشمس.



أفلت الثوب من يدها التي تشبثت به، فأمسكت  
يدها التي أفلتها و عيناها تنظران إليه، و هو لا  
يهتم لتلك النظرات:

-الناس بتطلع من المسجد و يجوا هنا عشان  
ياخدوا الفطار لبيوتهم و هما مروحين، قومي  
ولعي على الزيت و جهزي باقي الأكل، و عاوز  
أقولك لو فضلتى تشربي الهباب ده هاخذ البت  
تعيش معايا لأنك مش هتعرفي تخلى بالك منها  
طول ما بتاخدي هباب من ده و هم منصرفاً  
- وحشتني

توقف عندما سمع تلك الكلمة والتفت إليها ولم  
يتحدث فأسرعت إليه و هي تقسم بشرفها و  
شرف أهلها أجمعين عليه عليه يمنحها فرصة  
ثانية و انكبت على يده تقبلها:



-عاوزة اعيش معاك مش عازوة فلوس ولا  
عاوزة اي حاجه، كل اللي محتاجاه اني أشوفك  
كل صباح و كل مساء، مش عازوة من الدنيا غير  
اني أشوفك كل يوم يا أخويا هو انا ما استحقش  
الغفران؟ مش هيشفع لي اللي عملته لك في  
المره الأولى اللي اتكلمت فيها معايا؟ أنا مُدمنة و  
معترفه بكدا، و مستعده لتحمل آلام العلاج، وأنا  
حلال فيا تعاقبني العقاب اللي يرضيك، فقط  
أسمح لي بفرصة أخيره أصلح فيها اللي بوظته  
بنفسي

و تحركت العبرات التي كانت جامدة في تلك  
العين منذ زمان بعيد وسقطت على وجنتيها و  
قالت بصوت ضعيف :





-بلاش "نعمات" تحصل اخوها، مش عاوزاها  
 تشرب من سواد الأيام اللي احنا عايشين فيها أو  
 الأشخاص اللي معنا في كل مكان، الناس بقوا  
 عاملين زي السرطان مش هيسيو حد سليم غير  
 أما يطولاه من وساختهم شوية، "السرطان"  
 يقتلهم و هما عارفين أن الموت بإيد الله،  
 بيموتهم نظرات الناس، بلاش نعمل مع البنت كدا  
 و نسيبها لسواد الدنيا، عشان هي متسهاهش  
 مننا نعمل فيها كدا .

رق قلب "جمال" في تلك المرة، وهي ليست  
 الأولى التي تحدثت معه وبكت بعد أن ظفرت  
 بحكم الطلاق غير مره. وأراد أن يفتح لها  
 زراعيه ليُعانقها عناق يتمنى أن يدوم حتى تزول  
 السماوات، أراد أن يكون هذا العناق هو آخر



عده بالدنيا، ولكنه سرعان ما تذكر مرات الوقوف في المحكمة، تذكر ما شعر به من عجز حينها، تذكر أنها فعلت به كل سوء في عهدهما السابق، تذكر لوم "ساجد" تذكر موته الذي ألصقه بها، حتى لا يشعر بالذنب خلع الوشاح الذي كان يضعه على كتفيه و ظهر للمرة الأولى أمامها منذ المحكمة و هو يُبدي كبره الذي أضاعته و قفته في المحاكم دفعها و كانت قد اقتربت منه و تعلقت بثوبه

-اللي زيك ملهوش أمان، مش هعيش الذل معاكى تاني.

وتركها و أنصرف إلى الدار لكي يرى ابنته التي غاب عنها منذ عامين ولم يعلم أحد منهما عن الآخر شيء طوال العامين الماضيين طرق الباب



فلم يجبه أحد فانصرف و هو يشعر بالحزن و خيبة الأمل في نفس الوقت، لقاء "نعمات" كان هو النعيم الذي يرجوه ولكن للقدر رأي آخر فقد كانت في هذا الوقت قد خرجت لإحدى صديقاتها.

عاد هو إلى المكان الذي أتى منه و انقطعت أخباره عن ابنته و امها كما انقطعت عنه أخبارهما حتى استيقظ في أحد الأيام على رسالة من مُطلقاته مضمونها أن ابنته تناولت جرعة زائدة من الحبوب المخدرة أحدثت لها هبوط حاد في الدورة الدموية و أصابت عضلة القلب بفشل أدى إلى موتها و يجب عليه أن يحضر حتى ينظر إليها النظرة الأخيرة قبل أن تُوارى بالتراب، علم أنها تقول ذلك الأمر فقط لكي يذهب وتراه كما فعلت بالمرّة السابقة، فلم يذهب إليها و أخبرها



أنه سوف يأتي ليأخذ "رحمه" في اقرب وقت و  
اغلق الهاتف و وضعه على الوسادة و امسك  
ببعض الكتب و ظل يكتب ملاحظات في اوراق  
أعدها لأمر ما.

انتظرت "شاهندا" حتى الصباح و ذهبت إلي  
"عبدالله السُّكري" وهو شقيق "منذر" الصغير  
و صديق "أحمد السماك" صاحب سر "جمال" و  
قد كان شاب لا يميزه شيء، كان يشبه عامة  
الناس لقد كان شخص ليس بالطويل ولا القصير  
كان بدين بعض الشيء ولكنه لم يكن يمتلك بطن  
كبير، كان بدين ولكنه ذا جسد متناسقة أبعاده  
إلى حد كبير، ما يجعله مُلفت للانتباه هو مقدمة  
رأسه التي تمكن منها الصلع و هو لم يتجاوز  
الثلاثين من عمره لكي تطلب منه أن يأخذ محل



الشيخ "حامد" يديره هو لأنها لم تعد تستطيع أن  
تدير هذا المحل انطلقت إلى داره و طرقت الباب  
ففتح لها ولده "محمود"

-فين أبوك يا واد؟

-أبوي، نايم

-ادخل صحيه انا عاوزاه

-انت مين؟

-قل له "الست أم ساجد" عاوزاك و هي

مستتية قدام الباب

دخل الولد و بعد بضع دقائق خرج إليها:

- بيقول لك مين "الست أم ساجد"

-قل له أخت "أحمد السماك"

دخل الولد و خرج بعد بضع دقائق مرة أخرى:

- هو انتِ الست "شاهندا"



- قل له هي الست "شاهندا السماك"

دخل وخرج مسرعاً إليها

- بيقول لك خمس دقائق ويكون هنا

- ماشي انا هقعده هنا، ادخل أنت

- ابويا قال أنه لازم أقف معاكي هنا لغاية ما

يخرج

- لو قالك حاجه عرفه أني اللي قولتلك تدخل و

اسمع الكلام يا واد

- أبويا طلع.

و دخل إلى الدار مسرعاً

- أهلاً وسهلاً تفضلي يا ست "أم ساجد"

- ازيك يا "عبد الله"

- الحمد لله يا ست "أم ساجد"



-عاوزاك تشغل محل (الحمد) بتاع الشيخ "حامد السماك"، عشان خلاص زي ما انت شايف الصحة بقت مش قد كدة، و مبقيتش قادرة أوفق بين المحل و بين البيت و ملقيتش أحسن منك يقف في محل الشيخ، كنت صاحب أخويا أحمد وصاحب "أبو ساجد" انت اللي هتعرف تحافظ على المكان من بعد الشيخ و أحمد.

-متقلقيش على المحل، المحل في ايد أمينه.

نادي على زوجته

- شاي يا "محمود"

خرجت له بعد بضع دقائق زوجته وهي تحمل

اكواب الشاي، وضعتها على الارض

-كيف حالك يا "شاهندا"

-الحمد لله على كل حال



-ايه سبب الزيارة اللي مكانتش في الحسبان؟

نظرت إليها "شاهندا" : خير، بإذن الله خير

- و هو الخير هيجي من أمثالك ؟

نظرت إلى "عبد الله" :

-قول لمراتك تمشي من قدامي دلوقتي و إلا،

قاطعتها زوجته

-و ليه مش عاوزاني أكون موجوده يعني؟ خراب

بيتك مش كفاية؟ هو انتي عاوزة تدمري كل

البيوت و تخلي كل الحرير يعملوا زي ما انتي

عملتي في راجلك؟ اتقى الله وخلي الباقي من

بيوت بلاش تبقي أنتِ و الخراب مع بعض كدا

سيبي جوزي في حاله عشان الواد و احنا مش

حمل أننا ندفنه زي ما انتوا عملتوا في ابنكم

كنتي انتي و جوزك أغنياء، احنا مخلفين الواد





عشان يشيلنا أما نكبر بلاش بقي تفضلي وري  
الراجل لغاية ما يموت الواد زي ابنك  
اغرورقت عينا "شاهندا" بالدموع عندما ذكرت  
تلك المرأة "ساجد"، لقد مرت بكل لحظات الحزن  
التي سبق و أن مرت بها في حياتها في تلك  
المررة هي الآن، وللمرة الأولى منذ زمن بعيد  
الأنثى و الأم التي فقدت ولدها جراء إهمالها و  
ظلمها، دخل في قلبها الحزن لما مضى من  
أحداث في سابق عمرها، هي الآن -فقط الآن -  
شعرت بالمسؤولية تجاه موت "ساجد" و التي  
حاولت إنكارها كثير من المرات التي حدثها  
"جمال" أن تقصيرها سبب لموت هذا الولد.

-يا بنت ال (، )

قالها "عبد الله" لزوجته



-اتحركي من هنا دلوقتي، مش عاوز اشوفك بعد  
كلامك ده تاني هنا.

-انت بتشتمني عشان دي، والله ما هقعد في بيتك  
بعد اليوم إلا لو عرفت قيمتي.

-مع الف سلامه

و قام غاضباً ويسبها بأقبح الشتائم.

نظرت إلى "شاهندا" و هي تغادر:

-قلت لكِ اتركي ما بقي من بيوت قائمة، و كان  
بيتي اول ما وصل إليه الخراب ربنا لا يسامحك  
ولا يغفرلك

و ظلت تعدد صفات والدها "الشيخ حامد  
السماك" التي كرهه أن يتصف بها و كرهت هي  
الأخرى أن يتصف والدها بها، وهي لا ترد  
صامته و قد اكتفت في تلك المرة بالبكاء فقط.



قام "عبدالله" و أحضر لها منديلا ورقيا:

-امسحي دموعك يا ست أم ساجد، دي مرا بومه  
زي ما انتي شايفه بس و الله قلبها طيب و  
بتحبك، بس هي زي ما انتي عارفة عقلها هي و  
أبوها، عيلتهم كلها قليلين العقل متزعليش منها  
يا اخت الغالي.

و أعطاهها كوب الشاي و هو يتمنى أن تظل على  
رأيها و تعطيه المحل الذي ظل يحلم بخلافة  
الشيخ فيه سنوات

-مش هشرب حاجه في بيتك ولا من ايد مراتك،  
انت عارف مين أبويا الله يرحمه و عارف مين  
عمي ربنا يسكنه الجنة



ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة و دار في رأسه أن والدها و عمها و أحمد أخوها لن يرد أحد منهم على جنة الله التي أعدها لعبادة المتقين -ربنا يرحمهم و يغفر ليهم و يسامحهم يا رب، و اتبع في خُبث و أنا تحت أمرك في موضوع المحل ياسست "شاهندا" وقت ما تحبني ابدأ اشتغل أنا جاهز.

-أما اجهز دنيتي هبعثك مع الواد ابنك و هو بياخذ الفطار عشان نقعد و نتفق على الفلوس و على كل حاجه، انا جيت اعرفك عشان تجهز نفسك.

قالتها و قد أعطته ظهرها منصرفه.

لوحة سوداء كتب عليها بلون أبيض قديم " قبور أهل العشق، عليها سلام بين المقابر" و في



اسفل تلك العبارة نُقش بلون أصفر يميل إلي لون الذهب "إدارة المحل: حامد السماك" أمام باب قديم مفتوح، حجرة صغيرة، صنبور مياه تالف تخر منه الماء في حوض صغير قريب من الأرض، مصفاة بلاستيكية بها كمية من الباذنجان، القليل من الماء في أرض تلك الحجرة الصغيرة، رائحة الخضار الذي يُطحن مع الفول لإعداد الطعمية يميزها المارة من أمام محل الشيخ، تظهر "شاهندا" وهي ممسكة بإحدى السكاكين الموجودة و تضع المزيد من الباذنجان على المصفاة البلاستيكية خضراء اللون و في التسجيل يعلو صوت " نصر الدين طوبار" في إذاعة القرآن الكريم و هو يبتهل "إن ضل قلبي فقلبي أنت تعرفه،" و ما إن انتهت من تقطيع



الباذنجان و وضعه في المصفاة البلاستيكية حتى خرجت إلى المحل، و قد تغيرت معالم الطريق أمام هذا المحل، الأرض الزراعية الخضراء قد اختفت و ظهر مكانها بنايات مرتفعة شديدة الارتفاع، ما زالت تحت الإنشاء، حيث يأتي إليها المعلم "محمود حسنين" نجار المسلح، من طلوع الشمس إلى غيابها يتابع أعمال بعض "الصناعية" الذين يعملون في البنائيات الخمس، و قد كان المعلم و هو شخص قمحاوي البشرة ذا حاجبين كثيفين و أنف كبيرة و شارب به بعض الشعر الأبيض حيث ظهر على المعلم علامات الشيب و كان إذا فرج عن أسنانه تري أسنانه صفراء اللون نتيجة للسجائر التي لا تكاد تُفارق فمه منذ أن يُصبح حتى يُمسي يذهب إلى محل



الشيخ عبدربه و يطلب من "شاهندا" بصوته  
الغليظ:

- عشرة فول، عشرة بتجان، عشرة مخلل، و  
هاتي عشرة من ميه و بياقي الفلوس طعمية.  
و يشعل سيجارة و يأخذ منها النفس تلو الآخر  
بينما "شاهندا" تضع الطعمية في الزيت الذي  
انتشرت رائحته الكريهة في المكان و يقول لها  
في تلك الاثناء:

-مفيش أخبار عن الأسطى جمال؟

تتوقف على إثرها عن وضع الطعمية في الزيت  
و رمقته بنظرة هو يعرف معناها و القت طبق  
كان في يدها على الأرض فتناثر الطبق

-اسكت، مش عاوزة اسمع صوت أمك تاني،  
ممکن؟



يندهش المعلم من طريقة الحديث الذي سمعه  
 للتو وعزم على ألا يتحدث في أمر جمال مرة  
 أخرى أمامها حتى لا تغضب، لأنه يعلم ماذا يعنى  
 امرأة مثل شاهندا و قد تملكها الغضب، لقد كانت  
 شاهندا سريعة الغضب لا يستهويها التعامل مع  
 الرجال، الرجال فقط فقد كان يهاب لقيها الرجال  
 أمثال المعلم الذين يتوددون للنساء حتى يتحدثن  
 معهن في أمور لا فائدة منها، و سيخرجون من  
 هذا الحديث لا ناقة لهم ولا جمل في ما نتج عنه  
 يتحدثون للحديث، لا يوجد غرض لهذا الحدث  
 سوى الثرثرة التي لا تسمن ولا تغنى من جوع.

فلا يتحدث معها في هذا اليوم مجدداً إلا قائلاً  
 "شكراً" بعد أن مدت إليه يدها بقرطيس الطعمية  
 و أكياس الفول و ظلت شاهندا تلعن اليوم الذي





مات فيه الدكتور و ورثته، اليوم الذي أطاعت فيه نفسها و دخنت الحشيش، و اليوم الذي أوقفت فيه جمال أمام المحكمة طالبة تطليقها ولكن هيهات هيهات لم تقول و تلعن فلم يعد يجدي الندم ولم تعد تتفع الحسرة، لقد مات ساجد و مضى نصف جمال أيام حياتها و اختلعت من "جمال" و مضى شطر النصف الآخر، لم يبق لها سوى ابنتها "رحمه" و التي قررت لأجلها ترك تلك الأرض الظالمة الظالم أهلها و تنتقل هي الأخرى لتعيش حيث علمت أن جمال يعيش عذمت على الانتقال لأرض الإمام عساها تجد ضالتها التي لم تجدها في تلك الأرض التي مات فيها كل عزيز عرفته و انتهت فيها كل أيام حياتها السعيدة، ولكنها يجب أن تتصرف في



أمر المحل و تعطيه لأحد يواصل العمل فيه و سوف تبيع كل الديار التي ورثتها عن عمها الدكتور لن تترك سوى الدار التي كانت تعيش فيها مع أبويها، ستتركها مغلقة عساها أن تعود في أحد أيام حياتها فتجد رائحة ذويها في المكان، سوف تترك أيضا الدار التي سكنتها هي و جمال حتى تجد ريح ساجد متى عادت و أتى بها الحنين في أحد الأيام فأرسلت إلي عبدالله السكري الأخ الصغير لمنذر السكري لكي يقوم على تشغيل المحل، حتى لا يضطر ساكني ضواحي تلك الأرض الولوج إلى داخلها ليحصلوا على الطعمية التي أصبحت تعبر عن ثقافة تلك الأرض فأتمت بيع ما بيع من ميراث أهلها و تحركت هي و رحمة حيث يوجد جمال بعد أن



عرفت مكانه من "عبدالله السكري" حيث في  
الجلسة التي عقدتها معه بعد أن ارسلت له أن  
يأتي إلي المحل حتي يتفقا على الأمور المالية و  
توصيه بأن يحافظ على المحل:

-المحل اللي انت هتستلمه ده محل غالي، الحاجة  
اللي فيه استخدمها ابويا....  
قاطعها:

-في عنيا يا ست الناس، هتوصيني علي حاجة  
الغالي؟!!

-هاخد منك إيجار ستلاف في الشهر، و المحل في  
بضاعة بحوالي عشرين ألف، هاخدهم، و انت  
عارف طريقة الشغل مش انا اللي هعرفك!..

-جمعتين، جمعتين بس أجهز الفلوس



-مش اكر من جمعتين، و عاوزة اعرف حاجه

كمان قبل ما نتبسل و نقرى الفاتحة

-خير يا مرات الغالي؟

-الغااااالي، هو ساكن فين

-بس هو محلفني ما.....

قاطعته: ابقى صوم ثلاثيام مش مشكلة

-انا مش عارف هو ساكن فين و الله يا ست

الك....

قاطعته: مش هتاخد المحل غير أما تعرفني هو

ساكن فين، و انا عارفه المحل ده في عينك من

أيام ابويا، و انت عارف أنه الفرخة اللي

هتبيضلك ذهب، و زي ما مراتك قالت عندكوا

عيل عاوزين تربوه، و التريبة محتاجه فلوس و



الفلوس في المحل و المحل مش هتخط رجلك فيه  
غير أما تدلني عليه.

- أرض الإمام

-فين في أرض الإمام؟

-و الله معرفشي اكثر من كدا....

قالها و هو يربت علي شاربہ الخفيف الذي يشبه  
شوارب المراهقين

-و بيت الدكتور و بيتي، تشقر عليهم من وقت  
للتاني، و الفلوس تكون عندي الجمعة اللي بعد  
الجاية.....

وانصرفت إلى الدار طرقت الباب فتحت "نعمات"  
و هي فتاة في بداية العقد الثالث من عمرها،  
متوسطة الطول، شعر ناعم يظهر نصفه من  
أسفل الحجاب الموضوع علي رأسها، ترتدي



بنظرون رصاصي كان في الأصل أبيض و تي  
شيرت أخضر يميل إلي السواد.

-حضرتي الغدا؟

-لا، ..

و تركت أمها على الباب و دخلت الي غرفتها  
لتكمل شيء كانت تشاهده على الهاتف المحمول،  
وضعت سماعات الاذن و لم تنظر إلي امها  
دخلت الأم و بدلت ملابسها و أعدت مائدة الطعام  
و طرقت باب غرفة ابنتها:

-الأكل جاهز، يلا كُلي

قامت الفتاة على مضض و تركت الهاتف مفتوح  
في الغرفة و خرجت الي الطعام، و تناولت  
لقيمات بسرعة و دخلت الي غرفتها و تركت  
أمها تتناول، و وضعت سماعات الاذن و استأنفت



الذي كانت مشاهدة له قبل اكل تلك الأقيمت و  
 جلست الأم تفكر في لقاء "جمال" و الذي افترقا  
 منذ خمس عشرة سنة هي تريد أن يكون - أمام  
 الناس- أنه خسر امرأة مثلها و هو يريد أن يكون  
 أمامهم أيضاً مثلها، اخذت تفكر في العناق الذي  
 تمننت لو يدوم إلي منتهى حياتها، اخذت تنظر في  
 صورته التي اخرجتها من صدرها للتو:

-شعرك أبيض و جرى فيه الشيب يا "جمال" ولا  
 لسه شاب زي آخر مرة شافتك عيني جلدك  
 كرمش و شكك عجزت ولا لسه، لية  
 الاستعجال؟! كلها يومين و تقابليه في أرض  
 الإمام

ووضعت الصورة أمامها واخذت كسرة خبز  
 وضعتها في فمها و ما هي إلا ثوان حتى شعرت



بالاختناق تبعها كحة شديدة في محاولة غير ذي  
جدوى لإخراج كسرة الخبز من حلقها، نادى  
بصوت مكتوم

-ماااااااااه، هاتي مايه....

لم تلقى صرخاتها استجابة، و بعد أن طلبت  
المثانة إفراغها تركت الهاتف و ركضت إلى  
الحمام، و قد نظرت أمها ملقاة على الأرض:

-نامي في سريرك....

ولما انتهت من قضاء حاجتها خرجت الي أمها:

-قولتك نامي على سريرك، ولا انتي اخدي على  
نوم الأرض زي الانفار؟! لم تلق استجابة من  
الأم فأقبلت إليها واتبعت، انتي من كُتر شغلك في  
المحل بقيتي زي الانفار و ده مي نفعش شكك  
يبقى أيه قدام الناس دلوقتي؟





وصلت إلي الجسد الملقى علي الأرض و مع هزة  
في الكتف:

-يلا بقي، عارفة انك تعبتي و اليوم كان صعب،  
قومي بقي ارتاحي.

امسكت رسغها تتحسس النبض فلم تجده،  
وضعت اصبعيها السبابة والوسطى على عنقها  
فلم تستشعره أيضاً تذكرت انها سمعت في فيديو  
على يوتيوب أن حدقة العين تتسع بالضوء في  
حالة الحياة، فركضت إلى الغرفة و أحضرت  
كشاف و اضاءته و وجهته إلى عينها ولكنها لم  
تسطيع التبين من اتساع الحدقة من عدمه هامت  
على وجهها الي (الصيدلية) التي تبعد عن الدار  
بضع دقائق، و الجالسون على جانبي الطريق  
ي طرحون بعض الاقتراحات التي جعلت "نعمات"



بنت "جمال الصباغ" تخرج بتلك الملابس و بدون حجاب و تجري هكذا اخذت "عُلا" الصيدلانية و عادت مسرعة و ما هي إلا دقائق و تنهدت:

-شدي حيلك، البقاء لله...

قالتها و قد اعرضت عنها و خرجت من باب الدار المفتوح، ظلت تصرخ و تلطم الخدود حتى اتي الناس الي باب الدار و دخل بعض الرجال حملوا الجثة و وضعوها على سرير من أسرة البيت و خرجوا و اتي بعض النساء يصرخن و يلطمن الخدود و تصدر منهن التعازي:

-قلبي عندك يا حبيبي

-ربنا يصبرك، انا هنا زي أمك

-البقاء لله...



قالتها "نورهان" جارتهم الأولى و أمسكت

بعضدها و أخذتها إلى غرفتها:

-عرفتي أبوكي؟

هزت رأسها نفيا....

-هاتي تليفونك.....

أخرجت رقم محفوظ باسم "بابا":

-أووو، البقاء لله، الست "شاهندا" تعيش انت و

تعالى عشان بنتك لواحدها.

أودع جمال و قد كان ذا بشره داكنة تميل إلى

السمرة، في وجهه شارب و لحية بهم القليل من

الشعر الأسود، أسنان صفراء شديدة الصفرة لم

تداعبها الفرشاة قط، أنف عريض، مصاب

بالصلع، رأسه فارغ من الوسط به شعر ابيض

من الجانبين باهت، لا شيء يميزه عن غيره من



الأشخاص قصير حيث لا يجاوز طولة ١٥٠ سنتيمترا لديه بطن بارزة يظهر بروزها من الملابس الذي يرتديها أموالاً كانت في يده جيبه، ودفترا كان في يده درج مكتب بُني كان يجلس أمامه عليّة العديد من الأوراق المتبعثرة و يوجد فوقه لوحة نحت عليها "م جمال الصباغ" و بعض الاثاث القديم و سجادة حمراء اللون مُزينة بأثار الأحذية المُتسخة، مروحة سقف نحاسية اللون، حائط بني اللون في وجه الباب مباشرة، مكتوب عليه بلون ذهبي... " و قُل اعملوا...." صدق الله العظيم عاد الي المكتب بعد أن كان قد خرج منه ليأخذ عُلبة سجائر نسيها وقت نزوله .

-لو حد سأل عليا قولي إننا إجازة لمدة أسبوع

قالها للسكرتيرة الجالسة إلي جانب باب الحجرة



-خير ي-.....

قاطعها : اسمعي الكلام يا "سعد الهنا"

و قد كانت أبعد ما يكون عن شكل السكرتيرة  
المعروف، لم تكن ترتدي ملابس متناسقة  
ألوانها، قاربت على نهاية عقدها الرابع، تحمل  
طفل رضيع يصرخ بين الحين و الآخر فتقوم  
بإرضاعه أحياناً و تربت علي ظهره أحياناً  
أخري، صوتها غليظ يشبه إلى حد كبير صوت  
المراهقين من الذكور، عيون زرقاء لا تتناسب  
إطلاقاً مع الصوت الغليظ و الحواجب الكثيفة و  
عضلات الساعد و العضد التي تظهر بسبب اكمام  
الملابس التي ترتديها غادر "جمال" المكان بعد  
أن قال لها بأمر الإجازة و تحرك، استقل احدي  
السيارات الموجودة الي مسقط رأس مُطلقته و



مثواها الاخير ولما وصل إلى باب الدار وجد  
 نسوة على نحيبهن يرتدين جميعهن السواد من  
 أعالي رؤوسهم إلى الأرض، و أحد مشايخ  
 القرية يرتل:

- "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا  
 مُّوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ  
 ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ"

و يكررها علي مسامع الحاضرين، ولما أصبح  
 أمام الباب مباشرة رأي ابنته و لم تكن قد تغيرت  
 كثيراً منذ المرة الأخيرة التي رآها وجدها ولأول  
 مرة ترتد الأسود و تبكي و كلما اشتد نحيبها  
 ربتت "نورهان" على كتفها:

-شدي حيلك يا حبيبتي، قولي الحمد لله، افتكاره  
 رحمه، هي اكيد دلوقتي في مكان أحسن، و



بعدين لازم تجمدي مفيش غيرك هياخد عزا أمك،  
الحريم اللي هيجوا مش هيعزوا أبوكي....

نظرت إلي الباب:

- أبوكي وصل

رفعت "نعمات" وجهها الذي قبع علي صدر  
"نورهان" و ابتل الجلباب التي كانت ترتديه من  
دموعها و ما إن رآته حتي على صوتها:

-أمي ماتت....

و القت نفسها بين ذراعيه و بمجرد دخولها بين  
ذراعيه حتي تحركت عبراته بسرعه مبالغة  
وجنتيه و ساقطة علي رأسها و بصوت متقطع  
ضعيف:

-أخذت روعي معاها....



و احتضنها بخوف شديد ظهر في عينه، إياك  
تعملي زيها و تسبيني، و تنهد و بنفس الصوت  
الخفيض:

-هي فين؟

فأشارت الي غرفتها فدخل عليها و كانت لم تُكفن  
بعد، رفع بيده الملاعة البيضاء التي اخفتها عن  
عيون الجلوس، حينها أمرهم أن يخرجوا  
فاستجابوا جميعاً غير "نعمات" التي ظلت واقفه  
تراقب و جدها كأنما رآها للمرة الأولى ببيضاء  
الوجه شديدة البياض و لم تكن تلك طبيعة وجهها  
حيث كان للزمن نصيب في تشكيل ملامح هذا  
الوجه الذي تغير بين حالين ليس نفس الوجه  
الذي رآه منذ أشهر قليلة في اللقاء الأخير الذي  
جمعهما، كانت "نعمات" و "نورهان" قد





جردتها من ثيابها تمهيداً لمراسم الغسل و  
التكفين جلس إلى جانبها و انحنى ووضع قبلة  
على جبينها و امسك خصلة من شعرها ، دخل  
أحد مشايخ القرية:

-قوم يا ابني، لا يجوز انك تدخل عليها في الوقت  
ده، رابطة الزوجية تتحل بالموت كما تتحل  
بالطلاق، و انتي يا ابني من غير مؤاخذة كذا  
مطلقها من مدة مينفعلش اللي انت بتعمله ده.

-انا رديتها يا عم الشيخ من مدة و اخوها  
"محمود" يعلم بكده.

و تزامن هذا القول مع دخوله و قد كان شاب  
نحيف و طويل قليلاً ذا رأس ضخم، عيون  
سوداء، شعر برتقالي و لحيه بنفس لون الشعر،  
يوجد في خنصره الأيمن خاتم به فص أسود و



في سبابة نفس اليد يضع خاتم قديم ورثه عن  
أبيه الذي ورثه هو الآخر، هذا الخاتم هو في  
الأصل لجدّه "السماك" و يطوق رسغّه الايسر  
ساعه عتيقة أيضاً كانت لجدّه لأمه "الحاج  
محمود مرعي" ملابسه تشبهه ملابس رجال  
الأزهر.

-يا معلم محمود صحيح إن جمال رجع اختك الله  
يرحمها

-ايون، من مدة الكلام ده

وقفت "نعمات" أمامه للمرة الأولى فهي كانت  
تظنه السبب في طلاق أمها، رفعت يدها و هوت  
على وجهه:

-ليه، ليه مقولتهاش، دي كان ناقص تبوس  
ايدك عشان تعرفها اي حاجه عنه.



وفعلت بأبيها ما فعلته بخالها ولكنها لم تكتفِ  
 بلطمة واحدة على وجهه بل اتبعها بلطمات حتى  
 خارت قواها والقت نفسها بين ذراعيه و تشبثت  
 به:

-كانت بتقول دائما إنها خيفه تموت لواحدها،  
 تموت و انت مش جنبها، دي لو كانت تعرف انك  
 رجعتها كانت قاومت الموت مكانتش هتسلم،  
 بالسهولة دي

وانسلخت من بين ذراعيه و صاحت في  
 الموجودين في الغرفة:

-برالا، اطلعوا كلكوا .

-الميت ليه حرمة يا جدعان، يلا كله يطلع،  
 محدش يفضل هنا غير بنتها وأخوها و جوزها .



-اطلع يا خال، قابل الناس اللي هيجوا، سييني معاها انا و أبويا فلم يعقب محمود وبخاصة أن علاقته بأخته كانت ليست في أفضل حالاتها وتحرك في بطى جهة الباب و تحركت هي الأخرى في نفس الجهة.

اوصدت باب الغرفة و استدارت لتجد أباهما قد امسك بيد امها و خصلة من شعرها يتحسس ریحهما بأنفه، يقبل يدها تارة و ينظر إليها تارة:

-انتي مشيتي ليه؟!، مش كنا متفقين إن محدش فينا يمشي غير أما يعرف الثاني، بترجعي في كلامك لية بقى، ردي عليا، انتي ازاي جالك قلب تموتي و تسييني؟ على فكرة أنا كنت هخلص شغل الاسبوع ده و هاجي اخذكوا، يلا قومي بقي و بطلني رخامة لسه باقي الحزن اللي انتي



قولتي عليه و بعدين انتي كنتي خايفه تقابلي ربنا  
لواحدك ليه روحتي لواحدك بقي؟ النهاردة الأربع  
كنت هخلص شغل بكرة و اجي اخذك بالليل انتي  
و البت و بعدين موت أيه اللي ياخذك مني، قومي  
انتی قولتي انك اقوي من كل حاجه، طيب بصي  
قومي و انا مسامحك و مش زعلان منك عشان  
موضوع المحكمة قومي بالله.

التفت إلى ابنته و بصوت باكي:

-تعالی قومیها یا "شاهندا" هي بتسمع كلامك

و كانت تجھش بالبكاء فصرخ فیها:

-قولتك تعالی قومیها، ولا انتی مش عاوزاها

تقوم تانی

ذهبت إليه و وضعت يدها على كتفيه:



-سيبها و قوم، أمي ماتت و مفيش حد بيقوم من  
الموت

-يا رب تموتي انتي و أبوكي

و دفعها فسقطت علي الأرض محدثة ضجه دخل  
علي إثرها "محمود" و "نورهان" و حالا بينه و  
بين الجثة التي تمنى لو ترد إليها الحياة و لو  
لدقيقة واحدة ليعانقها العناق الذي ارادته هي،  
إلي أن تفيض روحها الي خالقها

-شوفي الراجل، عامل زي العيل الصغير اللي أمه  
ضاعت اشحال لو مكانش هو اللي سابها و  
اختفى من مدة

همست بها "سماح" زوجة "ممدوح" البقال في  
أذن "نورا" زوجة "محمود" السمكري لترد  
الأخرى:



-رجالة آخر زمن، راجل ايه ده اللي يعيط على  
مرا، و ياريتها مرا عدلة زي الخلق دي طلعت  
(.....) في المحاكم و فضحته في الدنيا و  
الآخرة، دي البت "مبروكة" مرات "سامح"  
العرجي من كام يوم دخل من الشغل عاوز ياكل  
قالت له انا تعبانة من الشغل طول اليوم سخن  
الاكل و كل راح سائب ليها الدين و كسرها و  
شالها على العربية الكارو و رمها قدام دار ابوها  
و رمي عليها اليمين، و ده بيتتحنح قوي زي ما  
يكون كان متجوز "إلهام مجدى "

- و مين "إلهام حمدي" دي

-يا بت "إلهام مجدي" دي واحدة الواد ابني مالي  
اوضته بصورها و أما سألته مين دي قالي



عليها، بس عيله زي العسل يا بت يا "سماح"

بس نقول ايه بقي، الله يرحم الرجالة

و قطع جلسة الأنس تلك صوت الشيخ:

- لا اله إلا الله، وحدوووووه، ادخلي يا بنتي

هي في الأوضة اللي في الوش

قالها الشيخ لـ "مريم" مغسلة القرية فدخلت و

أمرت الجميع بالخروج من الغرفة بعد أن كان

الاحباب قد ولجوا إليها يلقي كل منهن كلمات

الوداع أحياناً من القلب و كثيراً لملاءمة الكلمات

للموقف خرجت "نورهان" تحمل ماء في إناء

كبير قاصدة خارج الدار لتلقيه قدم إليها "جمال"

فأشار بيده بما يعني ما هذا:

- مية الغسل هنرميها





-لا خليها انا عاوزها عادت بها إلي الداخل، و  
 نادت المَغسلة على "نورهان" التي خرجت  
 لتتادي هي الأخرى على "جمال" و "محمود"  
 ليضعها في النعش الذي سوف تنقل فيه إلي  
 المقابر و في مشهد مهيب حُملت على الأعناق  
 حتى وصلت إلي متواها الأخير وضع النعش على  
 حافة القبر وبدأ الشيخ :

-قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم  
 تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم  
 تعملون يا إخوان أسوة برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم القائل لأصحابه لمثل هذا فأعدوا،  
 لمثل هذا فأعدوا، و الله إن للموت لسكرات،  
 خلق الموت والحياه ليبلوا الناس أيهم احسن  
 عملاً، كل مولود هو في الأصل ميت، كتب موعد



موته قبل أن يلقي في مستقر أمه، و صدق الرسول الأمين حين أخبر " عش ما شئت فإنك ميت، أحبب من شئت فإنك مفارقه، اعمل ما شئت فإنك مجزي به " إن الموت هو هادم اللذات و مفرق الجماعات و خير من أصابته مصيبة الموت القائل "إنا لله و إنا إليه راجعون" أذكر نفسي و حضراتكم أننا سوف نقدم على الله جميعاً سوف نموت جميعاً و نصير إلي ما صارت إليه المتوفاة، جفف دموعه التي انهالت على وجنتيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو نجى أحد من ضمة القبر لنجى سعد ابن معاذ، " اللهم إنا نسألك أن نوعظ بالموت، لا تجعلنا يا ربي من الذين قال فيهم رسول الله " و من لم يكفه هذا ولا ذاك فالنار تكفيه" أفضت المتوفاة إلي ما



قدمت لا يحيل بينها و بين الله أحد ولا يحجبها  
 حاجب صلى محمود على أخته ثم نزل و  
 "جمال" إلى القبر ليضعها، حملت إليهما  
 فوضعاها و خرج الاخ و بقي الزوج لبضع دقائق  
 يحتفظ بالصور التي يحتاجها في ذاكرته .

خرج من القبر و أغلقه عليها:

- اسألوا الله لها التثبيت فإنها الآن تُسأل

انقضت صلاة العشاء و قدم الناس من كل حدب  
 ينسلون يقدمون التعازي لجمال و تتوح النساء  
 اللاتي جالسن "نعمات" و يعلوا صوت القارئ  
 " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ  
 فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "

-البقاء لله يا صاحبي، شد حيلك.



خرجت تلك الكلمات من ظل قد وقف أمام  
 "جمال" الذي أسند مرفقة إلى فخذه و مال  
 برأسه إلى الأرض مستنداً إلى كفه، اعتدل فإذا  
 به "عبدالله السكري" قام ليصافحه فقام الأخير  
 باحتضانه و ربت على ظهره، اتفضل يا عبدالله  
 قالها ليقلت منه و أشار إليه أن أجلس، فجلس.

-الله يرحمها، الست شاهندا دي كانت طيبة

لم يعقب جمال فأكمل:

- أه و النبي كانت ست طيبة ربنا يسكنها الجنة،  
 أخبارك ايه يا جمال؟ مالك كدا؟ وحد الله يا عم  
 كلنا لها، بص و لو إني عارف أنه لا وقته ولا  
 مكانه بس هتعمل ايه في المحل و قبل أن يجيب  
 سأله ناوي تنزل انت تشغله ولا هتقفله؟

- شوف شكلي بقى ازاي يا عبدالله



فهم حينها أنه لم يعد يقوى على العمل بنفسه في  
 المحل ولا يوجد في القرية من يؤتمن إلا ولد، أو  
 صديق حميم، و رأي في نفسه خسه لم يشهدا  
 قبل موقفه هذا، ترك أم ولده تغادر و سبها لأجل  
 المحل، و الآن هو بمنأى عن مواساة صاحبه و  
 أخاه الأكبر:

-و انا تحت امرك في اي وقت....

قالها في محاولة لكتم الصوت الذي صرخ في  
 رأسه:

-انا كنت اتفقت اناو المرحومة على كل حاجه  
 كان باقي بس اعدي عليها الفلوس الجمعة  
 الجاية، مش اللي بعد بكرة، و ان...

قاطعه:

-تمام، شكر الله سعيك .



و لما كان الوقت قد تأخر أعلنتها "نورهان": "

-شكر الله سعيكم....

انصرف النسوة اللاتي اتين لمواساة الفتاة

الفاقدة أمها، انتهى العزاء لم يبق الا "نورهان"

و البنت و أباه فبادرت الأولى:

-انا هحضرلكوا العشا

-المرحومة كانت كويسة، تفتكر ايه اللي حصل

خلاها تموت

أطلقها "إسعاد ابو الحديد" لتتتهي سكون

المجلس الذي امتد لساعات طويلة ليرد "خالد

ابو الحديد":

-و انا معدي جنب محل الواد ممدوح سمعت امه

بتتكلّم مع شوية نسوان و بتقول ان البت كان



معها واحد بينظ عليها و أما دخلت امها  
مستحملتش و راحت فيها.

-يا عم صل عالنبي واحد مين اللي ينظ علي البت  
دي ، دي عيلة شايفه نفسها و مناخيرها في  
السما الموضوع غير كدا

-شرقت و ماتت و هي بتاكل

قالها "خالد ابن إسعاد ابو الحديد " أطلق جميع  
الجلوس الضحكات الساخرة و نظر إليه أباه و قد  
وضع وجهه في الأرض:

-روح يبني على الدار

-من كام يوم كدة ركب جنبي عيل عينه جبس و  
قعد يقول حلو "العداد الجيديتال" ده لغاية ما  
العداد اتحرق النهاردة الصبح، الناس عينيها  
بنت(.....)



قالها "بدر" صاحب الترسكل لم يهتم لها أحد  
ولم يعقب و استمروا في تخمين سبب وفاة  
المرحومة

انقضت أيام العزاء و خلت الدار و اقتصرت على  
ساكنيها لم يعد يأتي إليهما أحد غير "نورهان"  
التي كانت تتردد عليهما من فترة إلي أخرى حتى  
شغلتها الدنيا هي الأخرى، فهي كانت تعرف أن  
الحياة لا تكف عن المضي قدماً و وكذلك لن  
تتوقف عند وفاة أمها تعلم الحياة بعد أمها  
سوف تختلف بالكليّة عنها قبلها، بالكاد لا تعلم  
كيف ستختلف الحياة ولكن "نورهان" أخبرتها  
بذلك، وهي المقربة منها فكما كانت تقول دائماً  
لأمها "نورهان مش بتعرف تكذب" و ظلت تفكر  
في كيفية تغير الحياة بعد موت الأعرزاء و كيف





ستعيش في نفس المكان التي ماتت فيه أمها،  
 قطع تلك الأفكار طرق باب الدار قام ليفتح الباب  
 فطلبت منه أن يجلس و قامت هي بفتح الباب  
 فوجدت رجل و امرأة و ثلاثة بنات يقفون أمام  
 الباب مباشرةً ساد صمت لبضع ثوان قبل أن  
 يتحدث الرجل:

- "نعمات" !؟

لم تعقب فأكمل: فين أبوك

هي لا تجب و هي على باب الدار و لم تدر  
 وجهها للداخل :

-كلم يا حج

خرج إلي الباب:

-ادخل يا سلسبيل



دخلوا جميعاً على إثر ذلك الإذن من جمال الي  
الدار على فورهم .

-اعلمي شاي للناس

-البقاء لله، شد حيلك، و بعدين تسييني كدا على  
عمايا؟! انا خلصت المشوار اللي كنت فيه و  
الحمد لله ربنا سهلها بس كنت هموت و رجعت  
بسأل عليك البت "سعد الهنا" قالت انك مشيت و  
قولت لها إننا إجازة أسبوع سألت و ولاد الحلال  
دلوني على البيت و عرفت إن أم بنتك اتوفت، لو  
كنت اعرف كنت سيبت اللي في أيدي وجيتلك  
طوالي.

وضعت الشاي أمام أبيها و قامت منصرفه الي  
غرفتها، أشار "سلسيل" إليه فناداها:  
-تعال، اقعدني مع مرات عمك و عياله.



فجلست و شرع في تعريف المجهولين:

- ده عمك "سلسبيل"

سلسبيل عبد النبي حسين إسماعيل و قد كان يشبه أباهما إلى حد كبير إلا أن أسنانه قد هوت فلا يوجد في فمه أسنان و لا يوجد بعض الشعر الأسود في لحيته ولا رأسه.

-دي "سامية" مراتي

سامية إبراهيم عبد الله المغازي انثى خمسينية ظهرت على وجهها بعض التجاعيد و لديها حواجب بنية خفيفة و رموش قصيرة تكاد تختفي، ترتدي شيء أشبه بالحجاب ولكنه ليس كذلك بطن منتفخ نظرت إليه فأجابها:

-انا حامل.



فابتسمت ابتسامة مصطنعة علمتها إياها أمها و  
لم تحرك ساكناً غير أنها أومأت برأسها إيجاباً  
مع تلك الابتسامة.

-دول بقي بناتي " مريم " و دي اكبر واحده  
فيهم، " أسماء " و دي الوسطانية، و دي بقي  
غالية الصغيرة،

و أشار إلي بطن زوجته الظاهر:

-آخر العنقود بقي "إمام "

لم تستسغ الحديث ولا الجلسة، كانت تتوق إلى  
انصراف الغرباء الذين سمح لهم والدها باقتحام  
خصوصيتها وسؤالها اسئلة حمقاء من قبيل "كم  
تبلغين من العمر" بالطبع لا يوجد أنثى يروق لها  
هذا السؤال الذي بمثابة خطيئة من الخطايا  
المهلكة، لتجيبهم هي الأخرى على مضض



"عشرون عاماً" و سؤال أحقق من هنا على آخر من هناك حتى أتى السؤال الذي أعلنت أنه الأخير ولن تستمر الاسئلة بعده البتة "كيف ماتت أمك" لم تجب عليه فكرره مجدداً، فرمقته بنظرة ثاقبة، ثم صرفت عينها عن وجهة .

-قضاء و قدر....-

بُدد بها سكون المكان الذي حل بعد السؤال الذي لم يلق سائلة إجابة شافية، فأطلقها رفعا للخرج عن نفسه و عنها قامت نتيجة له مباشرة معلنه انتهاء وجود هؤلاء الناس في المنزل:

-شكر الله سعيكم....-

و مدت يدها مصافحه إياهم ود الأب حينها لو كُشفت عنه الحُجب أو اطلع على الغيب ليعلم ما نوته ابنته ليمنعها هذا الحديث المنافي لأدب



الضيافة كما كيفه و برزت "نورهان" و أشارت إليها أن الطعام قد انتهى إعداده لتجهر:

-تعبتي على الفاضي يا نورا، الجماعة مستعجلين.

و أكملت: نردها في الأفراح إن شاء الله.

خرج معهم و مكث غير قليل أمام الباب حتى

قادتة أقدامه إلى دار "السكري" قرع الباب

بعصاة كانت في يده، ليطلب "عبدالله" من والده

"محمود" أن ينظر الباب و يأتي بخبره، و ما إن

فُتح الباب حتى رأى الفاتح شخص يظهر عليه

الشيب و قبل أن يسأل عن هويته لطمه لطمه

خفيفة :

-ازيك يا ابن ال(....)



و نجاه جانباً و دخل إلى عبدالله الذي جلس و  
على مقربة منه صبي يعد «أحجار المعسل» و  
قبل أن يلقي التحية:

- انت ابن مين يا واد؟

بصوت متلعثم:

-إسعاد ابو الحديد، أنا "خالد" ابنه الكبير

-بقيت تلم العيال يا عيل

قالها وهو يجلس أمامه ليتبادلا الأنفاس ليرد  
الآخر:

-بس يا راجل يا عجوز، انت لسه فيك حيل للكلام  
ده

- الواد اخوك فين؟

-تقصد "المعلم منذر"



-معلم، ههههههه يا حول الله، الود منذر المعفن

بقي معلم، و يا ترى بقي معلم فين؟

-بقي ببيعت العيال الحشاشين للمحلات ياخدوا

منهم إتاوة و يجيبوها له، و كله بالكيف

-ينهار أزرق، منذر بقي مسرحتي، و هو في

انهي داهية دلوقتي، رن عليه هاته.

-ارن على مين يا راجل يا عجوز، انا معرفش

حاجه عنه من اكثر من سنتين.

-انا شوفتك حاضن نعمات، انت مين و اي...

قاطعته :

-انت قولت لي انت ابن مين؟

لم يعقب فأكمل :

-اااه ابن إسعاد ابو الحديد.. طيب انت عارف ليه

سيدك اتسمي ابو الحديد؟





لم يعقب الولد فأكمل مجدداً:

-زمان من يجي ثلاثين سنه كان هو و أبوك، كان  
ساعتها أبوك عيل زي حالاتك كدا يسرقوا حديد  
من الورش و ياما اخدوا عُلق.

رمقه بنظرة فاحصة فوجده زاماً شففيه تكاد  
تفيض عينه من الدمع، ناول الشيشة إلى عبدالله  
وظل يتمتم بكلمات غير مفهومة و بدون سبق  
إنذار على صوته:

-انصدمت ليه كدا، كان لازم تعرف حقيقتك و  
أصاك، هم بالانصراف لتفادي الاحساس بالعُري  
الذي سببه له هذا العجوز الذي كان يحتضن  
نعما في يوم من الأيام.

و قبل أن يغادر الغرفة ناداه و طلب منه الدنو  
منه فدنى:



- بلطمة على الوجه مثل التي أخذها من فتح له  
الباب و بعد إطلاق العديد من ضحكات السخرية،  
سيدك الله يرحمه كان صاحبي، ولا كان يسرق  
ولا أيتها حاجه من الكلام ده. كان راجل طيب  
ملهوش في اللف ولا الدوران اه سيدك كان أكبر  
مني بشوية حلوين بس الشهادة لله كان يعتبرني  
أخوه الصغير مش صاحبه و بس.

عادت الدماء التي كانت قد اختفت من وجهه و  
ابتسم له :

- أغير لك الحجر؟ انت صاحب كيف ولا ايه اللي  
رماك على الواد ده.

زادت ضربات قلبه كالذي رأي عفريتاً في ليلة  
حالكة إذا أخرج يده حينها لم يكدي يراها:



-لاء، انا كان ليا مصلحة بس إنما أنا ولا ليا في  
الكيف ولا الشغل ده.

- قُضيت، المصلحة قُضيت؟!!

-يا راجل يا عجوز سيب الواد يمكن يفلح في  
الايام الزرقة دي.....

أخرجها صاحب الدار قبل أن يجيب الشاب.

-يا عم المحامي انا كنت جايلك عشان المحل و  
الليلة دي، ارمي بياضك.

-انا كنت متفق مع الست على.....

قاطعته : و ده اتفاق نسوان مليش فيه، أنا واخذ  
البت وماشي بكرة الفلوس تكون عندي بكرة حلو  
يا ابن الناس، انك صاحبي و أخو حبيبي حاجه و  
فلوسي حاجه تانية.

-اشرب، فلوس أيه دلوقتي، بلاش السيرة دي.



أخذ الشيشة و ظل يشد الأنفاس حتى دخل إلى الملكوت، رآها هناك حورية من الحوريات تجوب الملكوت بأجنحتها الخضراء حتى دنت منه لتلمع عينه و يسيل لعابه كطفل منحته أمه قطعة حلوى، أراد القُرب فابتعدت، زمجر فأرسلت له ابتسامة و راحت تترنح معلنه أن أقصى الملكوت لها ولا يستطيع هو أن يرتفع عن الأرض شبراً، بل لا يستطيع أن يرتفع قدر أنملة ولا تطرحه الجاذبية أرضاً، لها جاذبيتها التي تجذب بها قلوب العشاق حتى توشك أن تتمرد، تعلن العصيان، تود الخروج عن مكنها بين الضلوع تود لو تطير إليها لتستقر في راحة يدها تفعل بها ما يروق لها، ولكن القلوب لا يمكنها أن تطير قام يقفز كالمخبول و يهرول هنا و يركض



هناك و بين الحين والآخر يقفز عّله يلمسها  
فتقهره الطبيعة فيقترب فيبعد، يُريد فيمنع، يسأل  
فلا يُجاب، يطلب فلا يُعطى، يتمنى فلا يجد ما  
تمنى

\*\*\*

غرفة متوسطة الحجم، تليفون أرضي على  
منضدة بالقرب من باب الغرفة، في الحائط  
المحاور، وعلى مقربة منها نافذة تطل على  
شارع رئيسي أمامه أرض زراعية و على يسار  
تلك النافذة تلفاز ماركة «سامسونج» جدران  
الغرفة ناصعة البياض كأنها وضع اللون عليها  
للتو غير رسومات بلون ذهبي تزين أركانها،  
رسومات كثيرة لطيور و سنابل قمح سوداء على  
أحدهم، على الآخر المقابل له رسمت العييد من



الزهور و التي تتباين ألوانها بين اللون البنفسجي بدرجاته، و اللون الأصفر، في الجهة المقابلة للتفاز جلسنا يشاهدانه و أمسكت "نورهان" بالريموت و ظلت تغير القنوات حتى وجدت "خالد صالح" يقول "عاوز تبقى محترم؟"، الفلوس هي اللي هتخليك محترم" و على القناة التالية كانت «Extra news» و بدأت مذيعة نشرة الأخبار:

"أكدت لجنة من منظمة الصحة العالمية أن الأوضاع في أرض الإمام تسوء يوم بعد آخر، و أن تلك الأرض سوف تفنى ما دامت تتبع تلك السياسات المائية الخاطئة، و نتيجة لتلك السياسات فقدت أرض الإمام نصف الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة للفقر المائي الذي كانت



ولا نزال تعاني منه إلي الآن نتيجة للتصرف  
برعونة في حصتهم من الماء، و أضيف إلى هذا  
البيان أن المياه هناك لم تعد صالحة للاستهلاك  
البشري إطلاقاً، حيث إنها تجاوزت الحد الأقصى  
لمعايير السلامة المائية و التي حددتها منظمة  
الصحة العالمية و هذه المعايير نعرضها  
لحضراتكم وفقاً لقراءات تبين الحد الأقصى التي  
لن تصبح المياه صالحة بعد تجاوز أيام من تلك  
القراءات للاستهلاك البشري، والقراءات هي:

اللون: بين 1-20 pt/co

درجة العكورة 1-10 UNT :

درجة الحرارة: من 13 إلى 35 درجة مئوية.

قيمة الأس الهيدروجيني: بين 6.5 و 8.5.



مجموعة الأملاح الذائبة TDS ملغم/لتر: بين 300 إلى 1500 كالآتي:

الصوديوم: بين 20 إلى 175 مليغراماً/لتر

البوتاسيوم: بين 10 إلى 12 مليغراماً/لتر

الكالسيوم: بين 100 إلى 200 مليغرام/لتر

المغنيسيوم: بين 30 إلى 50 مليغراماً/لتر

الكلوريد: بين 25 إلى 200 مليغرام/لتر.

الكبريتات: بين 25 إلى 250 مليغرام/لتر.

النترات: بين 25 إلى 50 مليغراماً/لتر.

و وفقاً للتقارير التي نشرتها منظمة الصحة

العالمية فإن أرض الإمام لا يوجد بها مياه

صالحة للشرب و الاستهلاك البشري منذ الأربعماء

٢١-٤-٢٠٠٠ و يجب على المواطنين سرعة

التوجه إلى أماكن المياه الصالحة للاستهلاك "





-اقفلي التلفزيون، انا هروح، الوقت اتأخر

اقفلي الباب

و بإشارة من يدها أعلنت الودع فبادلتها نفس  
التلويح الذي يعني الوداع

\*\*\*

-اتفقنا؟!!

-بكرة تكون عندي بالفلوس.

-احنا بقينا بكرة

تلفظ بها "خالد أبو الحديد" استند على قبضتي  
يده حتى اعتدل وقوفاً، ترك المجلس بعد أن كان  
رأسه قد استوفى الكمية المطلوبة من  
«الحشيش» لتصعده إلي الملكوت، يضحك في  
وجه كل من يراه، يسب الصبية الذين يلعبون في  
الطريق، ويراها و يضحك مخاطباً إياها:



-شاهندا، جناحين، ازاي يا خلق

-الراجل عقله لسع يا حول الله

قالتها "سماح" و كانت كافييه لتقص "نورا" ما

تراه القصة التي سببت لهذا الرجل العجوز

الخرف الذي أصابه:

-عملت للراجل عمل، هي بنت حامد السماك

هتشتريه ولا هتجيبه من بعيد؟! ستها "ملاح" أم

حامد دي كانت برضك اعوذ بالله، هي اللي

بدعت الأعمال في البلد مفيش حد سلم منها،

حتى انا، تصدقي بالله

- لا اله إلا الله

-في أول سنه جواز عملت ليا عمل كان

"محمود" كل ما يدخل ينام يشوفني قرد، و يطلع

يجري، لفيت على جميع الشيوخ ولا حد عرف



ياخذ في العمل حق ولا باطل لغاية ما روجت  
 عندها و انا عيله عندي خمسطاشر سنه نزلت  
 على رجليها ابوسها عشان تفك العمل و بعدها  
 بسنه كامله انفك العمل و حصل المراد لازم  
 تكون اتعلمت من سرتها الله يجهمم الاتنين  
 مفيش واحده فيهم هتشم ريحة الجنة، والبنت  
 بنتها دي هتكون نسخه من أمها و المصيبة لو  
 بقت البت بنتها زي أمها "ملاح" محدش في  
 البلد هي.....

قاطعتها:

- خلاص كفاية بقى الواد ابنك جالك أهو

ظل يسير غير متزن الخطوات حتى وصل إلى  
 باب الدار الذي كان مفتوحاً، و كانت هي قد  
 أعدت الافطار و جلست تأكل، و ما إن دخل حتى



هممت بكلمات غير مفهومة، و كانت ممسكة  
 بكوب من اللبن وقد شربت منه القليل، فأخذه  
 منها ولم تبدي ثمة اعتراض على فعلته، رفع  
 الكوب الزجاجي ولم يتركه إلا فارغاً، و استند  
 إلى كرسيه و أطبق جفنيه متذكراً بعض أوقاته  
 مع زوجته، يتذكر اللقاء الأول و النظرة الأولى  
 حيث كان يعمل كبائع للعطور، وكان "حامد  
 السماك" زبون دائم عنده حتى ذهب مره في بيته  
 و رآها و من وقعها عهد الذهاب إليه كل أسبوع  
 يعرض عليه بعض أنواع العطور في نهاية يوم  
 الجمعة من كل أسبوع يذهب إليه من بعد صلاة  
 العصر ولا يفرقهما إلا أذان المغرب:

- كنت فين؟



ظل سجين تلك الذكريات التي تجعله يبتسم، لم  
يسمع قولتها بالكاد لم يسمعها وضعت يدها علي  
كتفه و كانت قد دنت منه تهزه حتى انتبه لها.

-كنت فين؟....

نظر إليها و لم يعقب فأتبعت هي :

-كانت تتأخر برضك و كنت اكلمها تبص ولا  
كأنها سمعاني و أنت دلوقتي جاي تعمل نفس  
اللي هي كانت بتعمله، حرام عليكم، دي عيشه  
تقرف.

و انصرفت تركل كل ما تجده من أساس و تسخط  
على كل شيء.

-هو أنا قولتلك أنا عرفت أمك ازاي؟



توقفت عن المضي إلي غرفتها و نظرت إليه و  
لم تعقب فأكمل و هو يشير بيده إلي الكرسي  
المقابل له:

-تعالى

فلما جاءت جلست تنتظر إليه حتى استأنف  
الحديث :

-قزازه عطر.....

كان ينتظر أن تطرح عليه التساؤلات حول  
"قزازه العطر" تلك ولكنها لم تحرك ساكنا جراء  
قوله فاتبع

- من حوالي خمسة و ثلاثين سنة كان سني  
عشرين سنة او أقل شوية كنت في نفس عمر  
كدا كان جدك "على" الله يرحمه هو بيع الميه  
الوحيد اللي في المكان، كان شبيهي كدا بس



شعره كان أسود، كان عنده محل، هو مش محل هو مكان كنا بتبيع فيه الميه، و كان فيه سلك بين المكان اللي مخزنين فيه الميه و بين باقي الأرض، على الباب كان موجود يافطة سوده مكتوب عليها بالأبيض "وجعلنا من الماء كل شيء حي" و تحت منها مكتوب بخط اصغر شوية "الماء ملك علي عبد العلي الصباغ" و فضلت انا معاه شغال من عمر عشر سنين لغاية عشرين سنة و شوية بدأت أنزل معاه عند الميه من سنة خمسة و سبعين تقريباً لغاية خمسه و ثمانين تقريباً أو تسعين، في يوم التلات حداثر سبتمبر سنة تسعين بالظبط 11-9-1990 اليوم ده مش عمري ما أنساه، قبلها بعشر أيام جدك طردني من الشغل من غير أي سبب يوم السبت



واحد سبتمبر من نفس السنه، فصالت من يوم  
واحد في الشهر لغاية يوم تسعه أدور على أي  
حاجه استغلها و كل ما اروح البيت يفضل جدك  
يتريق عليا اني مش لاقى شغل، واحد جارنا كان  
بياع عطور و خواتم و سبح، كان بيفرش فرشاة  
صغيره كدا في الشارع، كلمته و وافق اني أخذ  
منه بضاعة و أبيعها و بعدين ياخذ فلوسه، اخدت  
منه خمس سبح و ست قرايز ريحه، و شوية  
بخور، اخدتهم آخر النهار و روجت و ثاني يوم  
نزلت الف بيهم عشان ابيعهم، يوم الاتنين عشرة  
سبتمبر ده لقيت طول اليوم و مبيعتش غير  
سبحه واحده، روجت و قولت ارجع اقول لأبوي  
انني مش لاقى شغل و أنه يرجعني أمسك معاه  
شغل الميه ثاني نمت في اليوم ده لغاية ما طلعت





الشمس و روجت لصاحب البضاعة و قولتله إني  
مش عارف ابيع و خد الحاجه دي و ده ربع  
جنيه حق السبحة اللي اتباعت قالي لو وصلت  
شرق الجامع الكبير هتخلص الحاجات دي في  
وقت قليل، و خد شوية بخور كمان و الحاجه  
"ملاح" هتاخذ منك كل اللي معاك، الحاجه دي  
بقى هي أم سيدك "حامد السماك" لم تستسغ  
الاسم فنطقته و قد رفعت حاجبيها ملاح!! الله  
يرحمها ستك ملاح، من غيرها دي مكنتش  
أتجوز أمك خالص روجت عند الجامع و فضلت  
أسأل كل اللي يقابلني فين الحاجه "ملاح" و كل  
اللي اسئلة كان بيهرب مني، مشيت و انا بنادي،  
بخور، بخور، سبح و انا ماشي لقيت ست  
عجوز بتنادي عليا، روجت عندها قالت وريني





يبكيه سواه، يؤثره بفيض أعينه عن غيره يظل  
يقص و يروى حتى يجرد كل ما دون المعشوق  
من قيمته و نفعه، يرى أن المعشوق هو الدنيا و  
هي فارغه لا يوجد بها إلا المعشوق، يراه هبة  
من الوهاب اصطفاه ليهبه إياها دون سواه، يراه  
مسكنه من شتات الدنيا، يراه المحيط الذي  
ينجيه، ولا يتسع ولا يجب أن يتسع لأحد إلا هو  
سرعان ما عادت من الحالة التي ذهبت إليها  
عندما تحدث عن لقاءهما و سألته عن سبب  
تركه للقريه كلها منذ عامين فأجابها أنه لم يترك  
القريه منذ عامين، فهو كان يأتي إليها من حين  
إلى الآخر، و أنه أراد غير مرة أن يراها ولكنها  
كانت هي التي ترفض و بدون إبداء أسباب ظل  
يقص و يروى حتى تركته و دلفت إلي غرفتها و



أغلقت الباب موحية إليه أنها لم تكن تريد أن تعلم كل هذا الأمر لأنه لا يعنيها من لا من قريب ولا بعيد، و ما إن دلفت إلي غرفتها و أغلقت الباب حتى ارتسمت علي شفتاها بسمه لا تعلم مسببها تذكرت امها و كيف ولماذا ماتت فخرجت مسرعة الي ابيها الذي كان مازال يحكي مواقف جمعته بأمرها، ظل يحكي حتى غاب نور الشمس و اختفت في الظلام الذي خيم على المكان لم يتنبه اتركها مجلسه أو عودتها إليه حتى رفعت هي صوتها مقاطعة إياه:

-ارتاح، ارتاح ونكمل الصبح

\*\*\*

-سامحيني، احنا لازم نسيب المكان ده و نمشي.



قالها "سعد" لزوجته التي لا تزال آثار اللكمات و  
الصفعات على وجهها، وهو شخص في نهاية  
العقد السادس أو بداية العقد السابع على الأكثر  
بشرة قمحية مليئة بالشوائب، شارب ممزوجة  
شعيراته باللونين الأسود والأبيض يغلب الأبيض،  
شعر رأس تطاير كما يفعل الريح بحبوب اللقاح،  
أسنان حل خريفها شأنها شأن شعر رأسه، على  
شق وجهه الأيسر أثر جرح من منبت شعره إلى  
أسفل فمه ببضعة سنتيمترات هو على الأرجح  
تخلف عن إحدى معارك الشباب، وصل إلى  
التجاعيد الذي يسر إليها راغم أنفه منذ أعوام  
عديدة أمضاها، صوت خفيض ليس معهود لرجل  
مثله حصل قوت عياله من هذا الصوت الجهور  
الذي سب بواسطته كثيرا من الأفراد بأمهاتهم و



هو يطلب منهم الجُعل خلف الجُعل استجابا لمصلحة أو اتقاء لشره- لا يوجد شخص عاقل لا يتقي شره- وقد كانت تجلس على أريكة صغيرة في حجرة مثلها بها نافذة لا تستطيع تبديل الهواء بين خارجها و داخلها يُرى من تلك النافذة الصغيرة مجموعة من البنايات المتناسقة بشكل مثالي مع مظهرها البالي و ألوانها الممسوخة والكثير الأشجار القديمة قدم تلك الأرض خلف هذه البنايات كطوق يحميها من كل غريب، تختلف سماء تلك المنطقة التي تزين النافذة الصغيرة كأنما هي لوحة لرسام إيطالي أبدع في رسمها لتخرج بتلك الدقة، تكسر حالة التناسق الغريبة تلك ثياب بيضاء مُعلقه بجانب النافذة



الصغيرة و صورة لرجلين يرتديان ملابس بيضاء  
على أكتافها شرائط كأن أحدهما "سعد":

-لازم نسيب الأرض دي عشان نعرف نعيش انا  
معادي ناس كتير، وعارف بلاوي ناس أكثر  
ومفيش حد منهم هيصفي انا فاكر كل حد عملت  
فيه حاجه، فاكر "حسن الإسكافي" ده مات  
عشان واحد من الجماعة بياعين الحياة

عرف أنه بيحاول يتقرب من بيته، بعثلي و قالي  
كلام بيرن في وداني من ساعتها:

-يا سعد انت لو عندك كلب، ياكل و يشرب من  
خيرك و يتحامي في بيتك لو حد عاوز يطولاه،  
وبيتك يمنعاه، والناس تعمله حساب بس لمجرد  
أنه من بيتك، الكلب اتسعر و دور العض في أهل  
بيتك تعمل أي؟! رد هو قبل ما أتكلم تسمه؟! بس



انت مفيش فيك طبع الغدر والخسة، تشنقه؟!  
 قلبك برضك مش هيتحمل تشوفه وهو رافض  
 الموت و بيصرخ تريحه و تريح نفسك و تريح  
 الناس منه و تضربه طلقه، هي دي تضربه طلقه  
 و كشف وشه و كان واخذ طلقه فجرت دماغه  
 زي البطيخة، كانت هي الأولى التي أرى فيها  
 شخص قد فعلت طلقه برأسه اللي رآته عيني،  
 شافني مخضوض فبدأ يتكلم -عجيب الإنسان ده،  
 هو عارف إنه كدا كدا ميت، اصل مشوفناش حد  
 خلد عليها، و بيحاول دايمًا يشيل فكرة الموت من  
 دماغه خالص عشان يعرف يطاوع نفسه  
 وشيطانه، بينسي إن ربنا شايفه و أنه هيروحله  
 و الحساب هناك صعب على أقل حاجه هيتحاسب،  
 هيتحاسب أما يعرض الأيد اللي اتمدت ليه بالخبر





يسـتاهل يتحاسب ولا لاء؟! يتحاسب أما يخون  
 ولا لاء؟! ياخذ جزاء الغدر ولا لاء؟! والإنسان  
 برضك روحه عزيزة عليه حتى لو كان زي الكلب  
 ده هو مش شاكك أنه هيموت بس عدم معرفته  
 بالمكان و الزمان و ايه اللي بعد كدا بيخليه يفتكر  
 إنه هيشـتري عمره بشوية أدوية و مشاوير  
 الدكاترة، احنا ناس مؤمنين و عارفين إن اللي  
 بتيجي ساعته بيسلم.

- مين ده؟!!

-كلب، ربنا يرحمه.

-مات ليه؟

- رزقه خالص في الدنيا

-مات ازاي أو مين موته؟



-مات ازاي اتضرب طلقة عملت فيه زي ما انت شايف أما بالنسبة لمين اللي موته؟ خلاص أجله ساعته حلت، و كان الأمين سعد شافه بيلقح سم في الخزان الكبير، عاوز يرجع الأرض العمار للبور تاني قام الامين سعد هوشه و فضل يشتم و يضرب في الهوا ظرف ورا ظرف آخر زهقه جه يضربه جنب رجله عشان يوقفوا قامت مفتوته و جابه في راسه فرتكتها شوفت الموضوع بسيط ازاي يا سعد؟

-بس حضرتك ده مضروب من قريب

-أنت يا سعد كنت عند الخزان وضربته أول ما

نزل

-يا باشا...

قاطع



-دي مكافأتك تمنتلاف جنية و زيادة حصتك من  
الميه خمسة وعشرين في المئة و بعدين انا  
سامع انك هيشرفاك عيل قريب و انت عارف إن  
الخرزان زي ما انت شايف الخرزان العمومي  
اتسمم خلاص و معادش نافع و العيل ده محتاج  
حصه و لو انت مش عاوز براحتك لأننا ناوين  
نقل الحصص بنسبة خمستاشر في الميه. كانت  
المره الأولى خدت الفلوس و زادت حصتي و  
عدت و بعدها بكام شهر لقيته بيرن عليا تاني  
روح لقيت بت متكفته وعريانه قالي عاوزينها  
تسكت ياسعد و شوف عاوز ايه و هي كمان،  
ولو مش بالذوق يبقي هي اللي اختارت.....  
تتهد ثم أكمل :



- و سكتتها و على كذا كنت أنا البعيع اللي  
 أصحاب الأرض بيخوفوا بييه الناس و الناس  
 اللي انا ظلمتهم مش هيرحموني يوم ما سلطتي  
 تروح أو تقل حتى عشان كذا لازم نسيب الأرض  
 دي و نشوف أرض الإمام، عاوزين نبداً حياة  
 مختلفة عن الحياة دي، حياة مفهش ظلم ولا  
 افترا على خلق الله.

وظل يعتذر ويكرر الاعتذار استرضاء لها، وهي  
 على حالتها الأولى لم يحرك فيها ما قال ساكناً  
 أقسم عليها برحمة والدها وظل يحاول حتى أقسم  
 عليها برحمة أم العواجز و أقسمت عليه هي  
 الأخرى بمقامها أنها لن ترتضي فعلته حتى  
 يأخذها لزيارة الحوراء في أرض الإمام

\*\*\*



قبل عشرون عاماً.

دار سلسبيل عبد النبي إسماعيل حيث كان إمام  
هو الطفل صاحب الخمس سنوات يجلس على  
فخذ أمه التي ارتدت الأسود وظلت تردد

"مكانش يومك يا اخويا، مكانش يومك يا نظري،  
مكانش يومك يا حبيبي"

أبى القدر أن يعلم ابنه فن إدارة الماء، ذهب إلي  
جوار ربه قبل أن يثبت ملك ابنه على ماء أرضه،  
جميع الآباء يموتون بنفس الطريقة العرق الغزير  
الصوت الذي أبى أن يخرج، دخول النفس أصبح  
كولوج الجمل في سم الخياط، وخروجه كخروج  
بنى إسرائيل والتيه في الأرض ولكنه لم يفعل  
كجميع الآباء فقد اغمض عينيه في مساء اليوم  
السابق و لم يشاء الله أن يفتحها بعدها أبداً و



حمل سلسبيل إلى قبره الذي أنفق من عمره الكثير في بناءه و إظهاره بالمظهر الذي هو عليه الآن، أنفق ماء الناس في هذا القبر، وعندما تظلم إليه الذين وقع الضرر عليهم نتيجة هذا العمل فأخبرهم أن الماء مائه و الأرض أرضه والجسد جسده وله أن يختار لجسده المكان الذي سيعيش فيه حياة البرزخ استعداداً لملاقاة كتابه اختار الا يكون ظاهراً من القبور إلا مقام الحوراء و قبره، وأوصى أن يهدم كل قبر ارتفع عن الأرض إلا هاذين بعد فتح الباب دخل جمال الصباغ و معه نِعَمَات والتي كانت قد بلغت عامها الخامسة عشر منذ أيام وما إن دخلت حتى ذهبت إلي سامية أرملة سلسبيل و ضمتها بين ذراعيها و ظلت تحدثها حتى دخل



وقت الرحيل ولما كانا قد وقفنا أمام الباب ليرحلا  
خرج إمام فذهب إليه وحمله وظل يحدثه بأنه هنا  
مثل أبيه وكلمات أخري لن يفهما طفل في  
الخامسة أبدا اخرج من جيبه بعض قطع الحلوى  
و أعطاهما للصغير قبل أن يضعه على الأرض و  
ينصرفا من حيث أتيا غادر الجميع وخلت الدار  
على سكانها البنات الثلاثة اللاتي امتنعن عن  
مقابلة جمال و بنته و الأم و الطفل الصغير و ظل  
هذا حال الدار في أغلب أيام السنة لا يبدد حالة  
الخلو تلك إلا بعض الزيارات من ابن الصباغ أو  
بنته التي ترسل إليهم حصة الماء مثل بقية سكان  
أرض الامام مضى قطار العمر سريعا شب إمام  
او كما أطلق عليه والده الإمام و بدأت أمه تحدثه  
عن ملك أبيه للماء و كيف أن صديقه ابن



الصباغ قد استأثر به لنفسه و ابنته وأنه هو  
الأحق بهذا الماء و هذا الملك الذي يجب أن  
يخلف هو أباه فيه ولا يتركه لأحد لأن الواد أفنى  
حياته لتسود دار الإمام أرضه في كل الأمور و  
الأوقات وبعد إلحاح من الوالدة و الفقير أبى  
الإمام إلا أن يذهب بنت الصباغ ليطلب منها ملك  
أبيه الذي استحال أبوها ولم يكتف بهذا بل  
افقرهم بعد أن كانوا أكثر أرضه سعة و أخبرها  
أن الإمام صاحب تلك الأرض هو جد أبيه وهم قد  
ورثوها كابرا عن كابر وأنه هو الأحق منها بهذا  
الملك

فقال له امهلي فترة أرتب خلالها أمر الانتقال  
هذا و نرى كيف سنخبر الناس هذا الخبر، عد





بعد ثلاث سنوات حتى اكون قد مهدت الأجواء  
لاستقبالك.

بأقي سيجارة محشوة بالشوكولاتة غير مشتعلة  
موضوعة على مائدته أمام الكرسي الذي يجلس  
عليه جمال وما إن رأى ضوء النهار قد دخل  
حتى اشعل باقي تلك السيجارة وسحب منها  
الأنفاس حتى قضى عليها واستقر الحشو بداخله  
وخرجت نعمات في تلك الفترة من غرفتها  
فناداها من جانبها أن تجلس على الكرسي  
المقابل له، فلما جلست امرها بالقيام لإعداد  
الطعام فأعدته و انطلق هو الي الخارج و ما إن  
خرج من الباب حتى وجد ابن إسعاد أبو الحديد  
ينتظر أمام الباب أقبل عليه، لظمة على وجهه:

-بتعمل ايه هنا يا ابن ابوا لحديد



تلاحقت أنفاسه وتسارعت ضربات قلبه حتى كاد يقفز من بين ضلوعه، حُمْرة كست وجهه وأصبح غير قادر على الكلام، تحامل على احباله الصوتية و أخرج "عبدالله" بصوت مكتوم وهو يسترق النظر إلى نعمات التي كانت قد خرجت لتغلق الباب بعد خروج والدها، وما إن أغلقت الباب ودلفت إلى الداخل حتى جهر صوته الذي كان قد احتبس في بطنه

- عبدالله باعتني اقولك روحه في المكان بتاع المرة اللي فاتت هو عاوزك

-طيب يوااااد روح قدامي ظبط الحجرة انت بتعرف ترص حلو قوي يلااا.

ابتسم فقد وجد ما جعل والده نعمات يراه متفوقاً فيه فعزم على أن يصبح رئيساً لقسم الرص في



تلك الأرض و الأرض المجاورة حتى أنه عزم على أن يدخل "الحشيش" أرض الإمام لأنه علم في جلسة الأئمة السابقة أن هذا الشيخ سوف يأخذ نعمات إلى أرض الإمام، ولما كان اليوم التالي لجلسة الأئمة كان هذا الشيخ قد حمل المحبوبة إلى هناك حيث انعدام كل أشكال الحياة التي تعلمها و يعلمها هو، وظل يبحث طريق يدخل به ما أراد أن يتفنى في رصه ليكسب بذلك ود أبو نعمات ولكنه لم يكن يعرف الطريق إلى أرض الإمام فعزم في تلك المرة بعد جلسة الأئمة أن يقبع أمام دارها حتى يقتفى أثرها إلى هناك ليكون له مراده الذي افتقده منذ رحلت منذ بضع سنوات، هو لم يكن ليصدق أنه سيبصرها مجددا بعد الرحيل المفاجئ والذي لا يوجد ما يبرره إلا



أن هذا الشيخ أصبح مخبولاً لا يدري ماذا يفعل ولا على ماذا يقدم، ولكنه على الرغم من ذلك ما زال يحب «الحشيش» و تسحره جلسات الأتس التي أتى من أجلها من المكان المجهول البعيد. عندما أخبره عبدالله بعد الجلسة السابقة أنه سوف يأخذ نعمات و يغادر إلى حيث الإمام، بالكاد ظن أنه سوف يغادر بعد بضع أشهر أو بضع أسابيع أو على الأقل بضع أيام وذلك كان في نظره أضعف الإيمان ولكنه بدد أضعف الإيمان وغادر قبل شروق شمس اليوم الذي يلي يوم جلسة الأتس كان رحيلها مع أبيها هي الصخرة التي تحطمت عليها آمال الفتى وكان غيابها هذه الفترة يجعل نفسه موتوره فهو لم يكن لينسيه الوقت إياها كان يخشى عليها



مجهول المكان التي كتب لها أن تستقر فيه، وكذلك النوازل التي قد تحل بها في هذا المكان المجهول الذي ود على مدار السنوات الثلاث الماضية أن يعلمه، حتي يذهب إليها ليلقي نظرة عليها ولو كانت الأخيرة، خشي أن تتزوج، سن السابعة عشرة التي تركت بها الدار وغادرت مع أبيها هي عمر مناسب جداً للزواج في قريتهما بل هو السن المفضل لكثير من الأهالي وبخاصة من لديهم بنات حسناوات قد جرى عليهن القلم و أصبحن فتيات تطقن اللقاءات الحميمة وقد كانت هي من هؤلاء الحسنات وهو ما جعل ابن أبو الحديد يحرقه التفكير كما يحرق الحطب، تخلى عن ثلاثة أرباع كمية الطعام التي تدخل إليه، أصبح لا يُطفئ السجائر إلا في موته الصغرى،



يذهب كل يوم إلى دارها، عليها عادت لصوابها و  
 آبت إلى الأرض التي بها جذورها وجذور أهلها  
 والتي بها كل ما تعرفه ولكنها لم ترجع إلى  
 صوابها بعد، رجعت بعد مرور السنوات الثلاث،  
 لقد استغرقت عُمرًا طويلاً حتى عادت إلى هذا  
 الصواب ولكن لا توجد مشكلة، ليس المهم متى  
 عادت ولكن أنها عادت وهو قد رأى تلك العودة  
 لثواني معدودة قبل أن تغلق أبوابها لتحول دون  
 إتمام الرؤيا بضع ثواني بعد بضع سنوات ليس  
 عدل، ولكن تلك الثواني كانت قادرة على تطيب  
 خاطر الفتى، أزالته كل مخاوفه منهن الثانية  
 الأخيرة والتي تمكن فيها من رؤية يديها  
 الخاليتين من أي صورة من صور الزواج  
 صاحب ابوها إلى دار عبدالله حيث تقرر ميعاد



انعقاد جلسة الأئمة هذه المرة بمجرد دخوله  
سأله أين ذهبت منذ المرة السابقة وأين اختفى  
لثلاث سنوات؟ وأياً كان ما يفعله في مكانه  
الجديد فهل هو من الأهمية بالمكان الذي يسمح  
له بترك المدينة و المغادرة؟ وظل يسأل حتى  
حلت الدار التي قصداها طرق الباب ففتح له ابن  
عبدالله والذي كان قد زاد طولاه عن المرة  
الأخيرة التي كان فيها يفتح الباب، ظهر بعض  
الشعر المتناثر كمجرة درب التبانة، أصبحت  
حواجبه اكتف من ذي قبل برزت عظام فكيه  
وغارت عيناه و أصبح يضاهي نموذج المجرم  
عند لومبروزو دخلا و أجلس حماة على الأريكة  
إلى جانب عبدالله وجلس هو على الأرض يرص  
أحجار المعسل، ويشعل الفحم أخرج جمال من



يده قطعة حشيش ناولها لابن أبو الحديد وهو  
يعلمها صراحة أن هذه الأمسية سوف تحملهم  
إلى أعلى مكان ممكن:

-خليها ملوكي يواااد، أبو أم اللي يحوش، جعلها  
الواد كما طلبها.

وبعد أن فرغوا من الشرب تذكر أنه احضر بعض  
الماء من أرض الإمام ولكنّه نسي أن يحضره  
إليه فاقترّب منه:

-جبّتك شوية ميه من عند الامام، الشفا هيجي  
بيهم بإذن الله، دول نازلين من مقام ستك أم  
العواجز، و أنت عارف أم العواجز وكراماتها  
ابقي ابعت الواد ابنك ياخذ الميه دي بكرة بقي،  
الليل دخل وزمان البت نامت وهي اللي شالتهم.





تمنى الفتى لو أنه ابن عبدالله في هذه المرة ،  
 فلما أحس ابن أبو الحديد من عبدالله أنه سوف  
 يطلب من ابنه أن يذهب غداً ليحضر الماء باغته  
 بعرض المساعدة وأخبره أنه ذاهب إلي دار  
 نورهان ليوصل إليها بعض الطلبات التي لم  
 تقوي على حملها في مرتها الأخيرة وافق عبدالله  
 وطار ابنه فرحاً ظهرت ابتسامة على وجهه  
 وهو يبدل حجر المعسل ويدعوا الله أن يرزقهم  
 ويتبع الدعاء "بشد الله يكرمك يا ابو الغوالي"

\*\*\*

العاشرة مساء من نفس اليوم ..

طرقت الباب ففتحت نعمات، استغرق الأمر ثواني  
 من الصمت والتأمل حتى جذبت نعمات الطارق  
 والقت نفسها بين ذراعيه، وتبادلا قبلات السلام،



أمسكت بساعدها وطلبت منها الدخول، دخلتا فألقت صاحبة الدار وشحاً كانت قد أخذته من موضعه وهي خارجة لتتظر من الطارق، جلستا على الأرض وكانت الأخرى قد وضعت حجابها الذي كان يظهر بعض الشعرات من منبتها، كان البيت فارغاً إلا منهما وأساسه، موعد إذاعة حفله من حفلات الست وقد بدأت هذه الأمسية بجملة

"واحشني وانت قصاد عيني شاغلي وانت بعيد"

وكانت هذه الجملة الأخيرة للست في هذه الليلة حيث أغلقت بعدها نعمات الراديو لتتفرغ لضيافتها التي انتظرت زيارتها تلك كثيراً كانت تعد الأيام عدا وتتوقع أن يشتاق أبوها إلى محل مولده، اصدقائه، المكان الذي به كل شيء يعرفه، قبر



زوجته، والتي ظنت أنه لن يقوى على عدم زيارتها لثلاث سنوات ولكنها في كل مرة كانت تخيب ظنونها حتى أتى اليوم الذي أيقنت فيه من أن العودة ليست بالأمر الذي يشغل بال الوالد حتى نسيت أمر العودة و حاولت غير مرة نسيان كل ما يربطها بهذه الأرض التي تركتها، ولكن أبى قبر أمها أن تنسى والتي كانت تزورها دائماً في منامها، تخبرها أحياناً أنها راضيه عنها فيسعداها عاماً وتخبرها أحياناً أنها سبب موتها فتنعص عليها حياتها أعوام، رفضت ذكرياتها مع نورهان أن تُمحي فقد كانت أقوى من الزمن الذي أعلن فشله في محوها كذلك أن تنسى، بعض ذكريات الطفولة كانت غير قابله للمحو وإن استطاع الزمن أن يجعلها تبتهت إلا أنه عجز عن



محوها وهذا ما تأكدت منه عندما عادت إلى  
الأرض مجدداً.

- ايه كل الغيبة دي؟

-حكم القوي...

- مرتاحة في مكانك الجديد.

-مش مكاني ولا ينفع يكون مكاني ده مكان  
غريب وناسه أغرب، كل حاجه هناك مختلفة،  
بس الناس هناك انصف و اطيب من اي مكان  
تاني، الناس غلابه كل همهم في الدنيا يلاقوا  
شوية ميه نضيفه يشربوها، ويروحوا يبوسوا  
مقام عندهم اسمه مقام أم العواجز و مقتنعين إن  
صاحبة المقام دي عندها كرامات، و أي حد  
يقول غير كذا يموت عادي جداً بالليل ويصحوا  
الصبح يلاقوه ميت و مرمي قدام المقام و مكتوب



عليه بالنار و الدم "كافر بالسيدة" وزي ما تكون  
السيدة دي بقت دين، وبعدين أيه اللي يخلي  
واحد عندها كرامات زي دي تسبب الدنيا كلها و  
تيجي تتدفن في مكان خراب زي ارض الإمام  
مكان مفيش حته فيه تنفع يعيش فيها بني ادمين  
غير تلات أماكن دار السقاية و دي اللي عايش  
فيها ابويا و أنا ودار الامام ودي اللي عايش فيها  
سلسبيل صاحب ابويا قبل ما يموت و مقام أم  
العواجز أو زي ما بيقول عليه الناس هناك مقام  
الحوراء و ده بقي مش بعيش فيه غير  
المؤمنين خدام المقام، ايمانك هناك مرتبط  
بخدمة المقام حتى لو كفرتي بربنا وبخلق  
السموات والأرض و خلق الانس والجن و



الرسول و الكتب و الملايكة، صاحبة المقام  
هتعرف تدخلك الملكوت .

- و انتي و أبوكي بتعملوا ايه؟

-انا مش بحب اروح عندها خالص، أبويا من يوم  
ما روحنا هناك و هو يروح ليها كل يوم يبوس  
المقام و يطلب العون منها و أما قولتله مينفعش  
اللي بتعمله ده أنت راجل تعرف ربنا قالي ده  
موقتاً بس لغاية ما يثبت ليه ملك الميه و مش  
هيعمل كدا، الناس عشان يأمنوا لك محتاجين  
يشوفوا خدمتك لصاحبة المقام، هو ظلم الناس و  
أخذ قوت عيالهم و شرابهم بحجة إن صاحبة  
المقام محتاجة ليهم. طيب بالعقل كدا ما دام هي  
صاحبة كرامات و الجود ده ليه متوفرش



احتياجاتها لنفسها، وبعدين هو فيه ميت  
بيحتاج؟! ولا هي روحها طلبت بقي ميه و أكل؟

- و ناوية تمشي بعد كثير ولا هنام ونصحي  
منلاقيش البت و أبوها؟

-والله مش عارفه بس اللي انا متأكدة منه إن  
ابويا عاوز يرجع ملك أبوه للميه و عاوز هو  
اللي يملك من تاني وعاوز هو اللي يملك من  
تاني كل يوم بالليل يقعد قدام صورة كبيرة لجدي  
و يفضل يقوله انا بقيت زيك اهو بقيت شبه مالك  
للميه و مش هروح عند قبرك غير أما املك  
الميه كلها اللي في أرض الإمام، انا مش فاشل  
زي ما انت قولت زمان أما طردتني من الشغل و  
سيبت ملك الميه يروح لسلسبيل صاحبي مع اني  
انا اللي ابنك مش هو دلوقتي سلسبيل مات و



عنده عيل اسمه إمام فاكر أنه هيبقى الإمام زي  
 ما كان جدي إمام بس انا مش هسمح إن الواد  
 ده ياخد منى ملكي زي ما عمل أبوه الإمام  
 هيكون ابن نعمات بنتي هي اه لسه متجوزتش  
 بس هجوزها و هتجيب الإمام زي ما كنت بتقول  
 لازم الناس يفضلوا محتاجين أو خايفين عشان  
 نضمن مكرهم لأن طول ما الشخص محتاجك أو  
 خايف منك عمره ما هيعمل ايتها حاجه تضرك،  
 هيكون مشغول أكثر بأنه يسد حاجته أو يامن من  
 خوفه، ولو مش هتعرف تخوف الناس يبقي لازم  
 يفضلوا محتاجين، وعشان يفضلوا محتاجين لازم  
 يكون عندك اللي مش عند غيرك، خليك مالك  
 طريقة إشباع شهوة من شهوات النفس، وتكون  
 انت الوحيد اللي تقدر تطفى نار الشهوة دي أو





تكون بتشبع الشهوة دي بطريقة أحسن من  
أحسن حد ممكن يقدر يشبعها عند النبي ادمين  
الخوف هو وقود الدنيا لو مفيش خوف مفيش  
دنيا، من الأول خالص ابن آدم اللي خاف يقتل  
معادش ليه أثر أما اللي داس على خوفه وقتل  
هو اللي كمل و بقي ليه أثر، حتى لو كان حس  
بالذنب أنه موت اخوه بس هو خالص بقي داس  
على خوفه و نفذ و اتجوز الجميلة، بعدها بشوية  
جه فرعون وكان الكل خايف منه حتى موسى  
الشاب القوي كان خايف منه برضك و قال لربنا  
انا خايف، دول ممكن يقتلوني، ربنا طمنه، راح  
بعدها لفرعون وهو الوحيد اللي وقفه عند حده  
وقاله أنت مش إله خوف الناس من قوة فرعون  
خلتهم يعبدوه، خوف الناس ولو معرفتش يبقي



مفيش قدامك غير انك تبقي الملك اللي بأمر منه  
وقت رضا يقدر يحول حياتهم جنة عدن على  
الأرض و بأمر تاني وقت غضب يقدر يخليهم  
يشوفوا جهنم الحمراء قدامهم، انا بقى عملت  
الاتنين خافوا مني عشان من خدام صاحبة المقام  
واحتاجوني عشان المية، و انت عارف بقى هما  
أحياء من المية، وانا باخد اوامري من صاحبة  
المقام اللي بينها وبين ربنا عمار و زي ما  
وريتي و انت بتقتل غنومة مرات الاعور عشان  
سمعتك و عرفت انك سبب مرض الناس بسبب  
اللي حطيته في الميه، فاكر يوم ما نحرتهها  
بالعاشورة بتاعتك وقولت بعدها ان الشخص  
الوسخ بيكون وسخ بس في اللحظة اللي هو  
بيعمل فيها الحاجه الوسخة، بمجرد ما يخلص



بیشوف أنه شخص صاحب ومبادئ، وهو  
 بينسي أنه وسخ الله يرحمك يا غنومة دفعتي  
 روحك الطاهرة المباركة عشان الدنيا تفضل  
 ماشية و كان كل يوم الصبح يبقي ناسي كل  
 الكلام ده، سالتة اكر من مره عن غنومة  
 وماتت ازاي ومين الاعور اللي هي مراته كان  
 يقول لي أنه ميعرفش مين دول ويخلف برحمة  
 أمي، وعمره ما كذب برحمة أمي فأنا مبقيتش  
 عارفه هو ايه اللي حصل له هل هو اتجنن  
 خلاص ولا حصل له أيه.

- و النية فين؟

- أرض الامام، هي أرضه بالورث وهو شايف أنه  
 أحق الناس بيها.

- و انتي...



-مش عارفه بس اللي أعرفه أن جدي الامام  
 هيكون مبسوط أما نرجع حقتا، هو زعل من  
 جدي أما حرم ابويا من حقه ده طرده عشان كان  
 عيل فاشل. فاشل، فاشل، فاشل هي نفس  
 الشماعة اللي علق عليها هو طرد خالد بس  
 الحمد لله قرر أنه بعد ما يرجع ملك أبوه إني أنا  
 اللي اخلفه فيه، وانا مش عاوزة الخلافة عاوزة  
 خالد هو اللي يشيل، مش هو الدكر؟! الدكر يشيل  
 بقي.

- وهو فين، و طرده ليه

فين، الله أعلم أما سبب الطرد فهو صاحبة المقام  
 و الكرامات أم العواجز الحوراء، دخل عند المقام  
 و فضل يزعق في الناس و يقول انها ملهاش



لازمة و ده جهل، وتشاء الأقدار أن الحجوج  
يدخل وهو يقول، .

يقطع الحديث صوت فتح الباب، دلف الأب فرفعت  
حجابها واعلنت الرحيل، نهضت مسرعة و ألقنت  
عليه السلام وهي تغادر فرده وظل يحدثها ويسأل  
عن اخبارها هي ووالدها واخبار الأرض من بعد  
رحيله وكيف يدير عبدالله ما تركه له ليرعاه  
وهي تجيبه وطلبت منه وهي تغلق الباب أن  
تراعي هي تلك الدار حيث أن عبدالله لا يهتم إلا  
بماله عائد عليه، ولكنها سوف تفعل هذا ولا  
تنتظر ولا تريد شيء مقابل القيام بهذه الرعاية.

غادرت نورهان فعادت الدار الي سابق عهدها،  
صمت يجب أن يزيحه هو، حزن خيم عليها منذ  
رحيل سيدتها الأولى، كان لا يزيل هذا المٌخيم إلا



عناق من سيدتها الصغيرة، وكانت لا تأذن له به إلا قليلا، وبعد فترة أصبح هذا التخييم أبدى بإرادتها وحدها .

استلقى على الأريكة والتي كان عليها طبقة من التراب جعلته بلونها فاستلقي ولم يعقب فسألته ما ذا كان قد ذهب لزيارة قبر أمها فأخبرها أنه لم يذهب بعد، ساد الهدوء لدقائق قبل أن يعلنها:

- خائف، خائف أشوفها

-خائف من رؤيتها!

-من يوم ما نزلتها وهي بتزورني كل مساء، تخيلني، اوقات تيجي فاتحه دراعاتها عشان تحضني وأوقات باصه وساكته اوقات تنزل تمام جنبي وأوقات تكون طايره، اوقات تيجي تظمني وأوقات تكون جاية عشان تخوفني، شوية تيجي



ملاك ابيض من النور وأوقات تيجي ملعون أسود  
 من النار، هي بتعمل معايا كدا ليه؟ لم تعقب  
 فأجاب أكيد انا خذلتها في حاجه او خالفت وعد  
 أو كذبت، بس لا أنا ولا غدرت ولا خذلت هي  
 اللي كذبت وخذلت، هي اللي ماتت ومقاتلش أنها  
 هتموت

أرادت أن تتحدث فمنعها و اتبع:

-متقوليش غصب عنها محدش بيموت غصب  
 عنه، هي ماتت عشان تعاقبني وأنا زعلان منها،  
 خالفت الاتفاق ليه؟ مش قولنا إن اللي يجي  
 يموت فينا يعرف الثاني، يا شاهندا انا يوم ما  
 فارقت أبويا و ارضي و ملكي مزعلتش ، زعلت  
 يوم فراقك انتي، قوليلي استفادتي ايه من  
 الموت، استفاق من حالته تلك وبنظرة اخافتها



بس هي مرة من المرات قالت انك سبب موتها  
هو ايه اللي حصل يومها.

-مش فاكرة غيراني دخلت وكانت هي بتاكل  
طلعت لقيتها واقعه على الأرض قوتل أنها نامت  
وأما ناديت عليها مفيش اي حاجه، وبعدها  
عرفت أنها ماتت.

-كنت جاي، كنت جاي اخدها عشان اعوضها عن  
سنين الغيبة و الهجر عن التعب و الشغل،  
الاشتياق و الحزن، كنت ناوي اعوضها عن كل  
حاجه حصلت لها سواء بسببي ولا بسبب تاني كل  
حاجه حصلت كنت انا ضامن لتعويضها عنها  
كنت بجهز نفسي عشان ملك أرض الإمام كانت  
هتكون قديسة ومتوجة أرض الإمام، كنت هخليها  
زي صاحبة المقام، كانت كرامتها تتعدي كرامات





صاحبة المقام، كانت تبقي صاحبة مقام أم النعم  
وانا عندي من الطرق اللي يخليها ليها معجزات  
مش كرامات بس لكن القدر رفض، وهو مين  
القدر عشان يرفض، مش هو مخلوق زي زينا  
ليه يرفض وليه ترفض الصدفة أو توافق ازاي  
مخلوقات في خلقه يكون ليها توافق أو ترفض  
علي حاجه تخصنا طيب هو ممكن الصدفة  
تخرج عن إرادته؟ طيب تخرج ازاي وهي شبهنا  
هي ممكن تعصى إنما مش ممكن تخرج عن  
إرادته هو في السما أعلى من كل شيء واقوي  
من كل شيء وأعظم من كل شيء و القادر على  
كل شيء هو على العرش قاهر كل شيء ولا هو  
على الأرض أعظم من أي شيء، ولا هو في  
السما والأرض وفي كل مكان وفي كل زمان، هو



صاحب الجنة وصاحب النار صاحب العذاب  
وصاحب الرحمة، ومن رحمته بينا أم العواجز  
الحوراء، بس ليه مش شاهندا أم النعم هي  
الرحمة مع انها طيبة ويحبها جميع الناس. ولو  
على الكرامات هي أكيد عندها منها انا لازم  
اعملها المقام ده أول ما نروح اعمل مقام للإمام  
والخير والبركات يزيديا ببركتهم وبأمر ربنا و  
تبقى جنبي.

لمعت العينين وفاضتا بالدمع لما ذكرها كان هو  
المذؤوب وكانت ليلة البدر، نعم الحب حبه لها،  
بئس المُحِبِّ و المحبب ففقد أخفت هي سحرها  
وأخفى هو الدماء التي في يديه، أخفى كل منهما  
عن الآخر ما لو علمه لكان له شأن آخر بيع  
السبح والعطور ما كان ولم يكن ليعين رجل على



الإِنْفَاقُ، لا بَدَّ مِنْ عَمَلٍ فِي الظُّلَامِ يَعِينُ عَلَي هَذَا  
 الأَمْرِ وَلَمْ تَكُنْ هِيَ بِتِلْكَ البَرَاءَةِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهَا  
 هُوَ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ أَبِيهِ لِأَبِيهِ وَهِيَ تَجْلِبُ الطَّامِعِينَ  
 لِتَأْخِذَ مِنْهُمْ الأَمْوَالَ بِمُسَاعَدَةِ "مِلاح" ظَهَرَ  
 بِمَظْهَرِ الفَتَى الطَّامِعِ فِي تَحْقِيقِ العَدَالَةِ وَلَوْ قَدِمَ  
 مَلِكُهُ وَمَلِكُ أَبِيهِ قَرْبَاناً لِإِلَهِ العَدَالَةِ وَظَهَرَتْ  
 بِمَظْهَرِ إِحْدَى آلِهَةِ الإِغْرِيقِ وَالتِّي تَسَاعِدُ  
 المُضَامِينَ وَتَحْنُوا عَلَي المُسْتَضْعَفِينَ وَتَرْحَمُ  
 المُسْتَجِيرِينَ بِهَا مِنْ عَصْفِ الأَيَّامِ وَمِنْ شُرُورِ  
 النِّسَاءِ ظَهَرَ لِلنَّاسِ بِرَدَاءِ لِلعَدَالَةِ وَظَهَرَتْ بِحَامِلِ  
 الرَّحْمَةِ وَالسَّمَّاحِ لِبنِي الإِنْسَانِ جَمِيعاً أَخْفَى مَا  
 أَرَادَ لِيَسِيرَ الأَمْرَ كَمَا أَرَادَهُ أَيُّوهُ مِنْ قَبْلِ، كَمَا  
 رَسَمَتْهَا مِلاح وَكَتَبَتْهَا بِالكَبْرِيتِ الأَحْمَرَ، مَضَى  
 كُلُّ شَيْءٍ عَلَي النِّحْوِ الَّذِي أَرَادَهُ كِلَا مِنْهُمَا.



## قبل يوم الطرد بثلاثة أيام

-ازاي يقلت منك يا غبي، انت اه ابني بس لو  
الواد ده مجاليش خبره في خلال يومين اعمل  
حسابك انك هتكون مكانه وبعد ما تاخذ السر  
هتغور من هنا تروح اي مكان لأنك كدا بقيتك  
مكشوف للناس ومش هينفع أسند عليك تاني،  
أمشي و على ما اموت هكون خلصتك من كل  
اللي عرف بالموضوع هتيجي تبدأ شغل على  
نضافة خرجت هذه الكلمات من سواد لا يظهر  
منه سوى عين واحدة.

غادر جمال المكان، فأزال السواد من على رأسه  
ليظهر شعر ابيض كثيف لم تسقط منه واحدة  
جبهة بنية تميل إلى السمرة صغيرة، حاجبين  
كثيفين ممتلئين بالشعر الأبيض، العين اليسرى



سمراء اللون، أما العين اليمنى فقد كانت موجودة منذ زمن، لم يغلّق هذا الجفن ولم تذهب بسبب التطور؛ وإنما بسبب إحدى المعارك التي خاضها والتي تركت كل واحد منها علامة في جسده ولكن كانت اقصى واحدة هي تلك التي أخذت إحدى حبيبتيه، يظهر على الجفن العلوي أثر جرح نافذ قد التئم، ونتيجة لإغلاق هذا الجفن منذ زمن ظهرت بعض التجاعيد بالجانب الأيمن من العين اليمنى، أنف ضخمة، قواطع من الذهب وأنياب من الفضة سوف تصبح ثمن خمس وجبات لأحد نابشوا القبور بعد أن يتناول الدود وجبته المفضلة فيترك العظام خاليه كما كانت في الخلق الأول قبل أن يتم كسائها اللحم، شارب محفوف ولحية بيضاء مُعفاة، عنق قصير وغلظ



فيه لونين وربما ثلاثة ألوان للجلد نتيجة لحرق قديم ترك هو الآخر أثر.

كان جمال قد ذهب إلي طريق محفوف بالأشجار المرصوفة بدقة وعناية على خط واحد، أعمدة إنارة كثيرة تالفة مصابيحها إلا واحداً كان يقف أسفل اضاءته جمال مخرجاً بعض السكاكين استقر اختياره على ذات السلاح المتعرج وقام بوضع الأخريات في حقيبة قماشية كان يحملها على ظهره واطفاء المصباح المنير وانتظر قدوم الذي نجى في المرة الأولى اختبأ خلف شجرة الجميز وانتظر حتى أتى ركبا على عربة يجرها حصاناً وبغل وفي ليلة اختفى فيها القمر تسلس خلفه على العربة وما إن تمكن من منبت شعره حتى نحره، اضطربت الحصان وهاج ولم يفهم



البغل لماذا اضرب صديق عمله بهذا الشكل، فما كان منه إلا أن ركض ليجاري صديقه الجامح قفز جمال من العربية التي أسرعت فوقعت من يده السكين فجرح وجهه وسقطت قدمة اليمنى في حفرة فأصيب بكسر وجروح أخرج قدمه من الحفرة ذاماً شفتيه مقاوماً الرغبة في الصراخ ولكنه لم يمتلك قوة تحمل تحول بينه وبين الصراخ فبدأ بانين ثم ارتفع شيء فشيء حتى أصبح صراخ استجمع قواه وظل يبحث في الظلام وهو يزحف على بطنه حتى عثر على السكين التي ازهق بها روح الذي كان يجلس على العربية ووضعها إلى جانب أخواتها حدوة تعزف عزف عشوائي على الأرض هو آخر ما



سجلته أذناه قبل أن يفقد وعيه ويستسلم إلى  
الألم الذي عجز عن مقاومته.

هبط غراب من فوق شجرة الجميز التي كان  
يختبئ خلفها، وقف على صدره وتحرك حتى  
وصل إلى وجهة، نقر نقرتين مكان الجرح الذي  
تخلف عن السقوط فخرج قطعة من الجلد  
ابتلعها، وتقر نقرة اتبعها بأخريات أخرج على  
إثرها قطعة لحم اكلها قبل أن يفيق، أفاق من  
آلامه التي لم يعد يحتملها وزاد عليها هذا الغراب  
الذي أرسل إليه من حيث لا يدري، أمسك برجلي  
الغراب فصاح، ونقر يده وضرب الهواء بجناحية  
وارتفع إلى آخر مسافة استطاعت عيناه رؤيته  
فيها وبعدها ابتلعه الظلام فأصبحا شيء واحد  
سمع صوت حدوة، فصرخ فتوقف الصوت و





التقطت أذنيه صوت آخر، صوت أقدام توقفت عند رأسه سأل الشخص الذي نزل من ابن الحرام الذي فعل هذا بك، فلم يجبه كررها ثانية فطلب منه أن يحمّله لدار الصباغ فحمّله بعد دقائق من المسير وجد عربة على جانب الطريق مربوط فيها حصان يسعى جاهداً ليتحرر من وثاقه ويركض حتى تخور قواه ويسقط من هول ما رأي، فحرره من وثاقه فصهل ثم ضرب الأرض ضربات عنيفة وركض فابتلعه الظلام بعد ثواني من الركض، وأثناء العودة أحس بوقوفه على شيء لين غير الأرض فلما أطلق النظر علم أنه على أحد بني آدم نزل مسرعاً وجلس على ركبتيه وحمّله من أسفل رأسه فوجدها رطبة ابتلت على إثرها يده التي وضعها



تحت رأسه فتركة و عاد مسرعاً إلى عربته  
احضر مصباح كيروسين كان على العربة و عاد  
مسرعاً إلى حيث ابن آدم فلما اقترب منه رفع  
شدة الإضاءة إلى الحد الأقصى حتى ظهرت  
ملامحه؛ شفاه غليظة فم واسع، أنف صغير،  
عينان تصارعان المكتوب ارادتا التقاط أكبر قد  
من الضوء وبخاصة أنهما ايقنتا أن هذه هي  
المررة الأخيرة التي سوف يستمتعا فيها برؤية  
الضوء ولكن حال دون ذلك غياب القمر وفعل  
جمال فلم تريا إلا الظلام، جبهه ناعمة وشعر  
أسود خفيف من المقدمة حيث يظهر للناظر فروة  
الرأس، وجهة عند النظر إليه كوحده واحده ترى  
الخوف الذي سيطر لحظة الوفاة، حرك المصباح



حتى بدى العنق المنحور ارتعدت فرائسه ركض  
إلى عربته وهو يردد

"استر يا ستار، استر يا ستار، استر يا ستار"

قفز على عربته ورفع سوط هوي به على  
مؤخرة دواب الجر فركضا، فتألم من كسر قدمه  
فصرخ أخرج الصرخات التي تحامل على نفسه  
ليكتمها، سأله ماذا وجد فأجاب أنه وجد شخص  
مذبوح واتبع

-لابد أنهم اللصوص الذين ذبحوا الرجل هم من  
آذوه، فلعن اللصوص وتضرع إلي الله بالدعاء أن  
يريهم في هؤلاء اللصوص يوم أسود عليهم  
يشفى صدور المضامين من أفعالهم حمله حتى  
دار الصباغ كما أمره وكان يقف الأب يرتدي  
السواد ويمسك بعصاة غليظة يستند عليها بعد أن



ألقى إليه السلام أخبره أنه وجد هذا الشخص  
المحمول على العربة في طريق الأشجار القديم  
يصرخ فلما حمله طلب منه أن يوصله إلى دار  
الصباغ وأنه قد أوصله ويريد العطايا من الصباغ  
- "دار الصباغ دار كرم، وانت الآن كبير آل  
الصباغ ولا أظن أنك تردني بعد أن حملت  
مستجير بك إليك"

قالها وتبسم ، تبسم الصباغ على إثر ذلك الثناء  
وطلب منه أن يحمل معه هذا المصاب إلي الداخل  
حتى يحصل على العطايا التي تطيب لها نفسه  
أدخلا المصاب إلي حيث أراد مرتدي السواد،  
وأخرج لصاحب العربة من الأموال من كل شكل  
أخرج الذهب والفضة والنحاس وأخرج العملات  
العتيقة وأخرج العطور وزجاجات الخمر التي



يزيد عمرها عن مائتي عام أخرج سندات ملكية جميع الأراضي خاصته ووضعها أمام ذلك الغريب الذي رد إليه ابنه المصاب وقال له خذ ما يكفيك ويزيد فض غطاء إحدى زجاجات الخمر فشربها وأخذ يضع الذهب والفضة في جِوال أتى به من العربة وابن الصباغ يبتسم ويخبره أن يزيد حتى أخذ مما أخرجه له كل ما خف وزنه وعلى ثمنه، لم يترك إلا سندات الملكية و طلب من الصباغ أن يحمل عليه الجِوال ويأتي له بزجاجة خمر ليتجرعها أثناء المسير، أخرج له ما أراد وساعده على الصعود إلى العربة ودخل داره واغلق الباب، مشي إلى مضجع ابنه المصاب فنظر إليه بالعين الظاهرة فأخبره أن الأمر حدث وأن المقصود توفي إلى رحمة مولاه فأشار إليه



أن اركن إلى الراحة وأخذ الخادم "صفوان" حربة وخنجرًا، وامتطى جواده الأسود حينما رأى الذهب والفضة التي أخذها ذلك المجهول صاحب العربة وخرج من الباب الآخر في الجانب الآخر من الدار أخذ الطريق الخلفي الذي نهايته من الناحية البحرية دار الصباغ، فهو طريق مخصص للعربات التي تطوف ببضاعة الصباغ تعود في نهاية اليوم لتوضع في دارة من جهتها البحرية، أخذ هذا الطريق حتى وصل إلى الطريق الكبير المؤدي إلى أرضه واستدار وعاد إلى دار سيده من الطريق الكبير و بأقصى سرعة سار الجواد فلما أصبح صاحب العربة على مرمى البصر أخرج حربته والقاها حينما اقترب منه



فاخترقت كتفه الأيمن، ارتمى على عربته وهو  
يردد

"يا قوي، يا قوي، يا قوي"

نزل فأمسك بلجام دواب الجر وقادهما إلى داره  
وأمام الباب الكبير صرخ صفوان  
"لص يا سيدي"

فخرج ومعه الخنجر الذهبي، توجه إلى اللص  
ليسد له طعنة تمزق ضلوعه فرآه صاحب  
العربة فأوقفه رؤيته وجهة عما أقدم على فعله،  
طلب صفوان وقد ألقى خنجره الذهبي في وجهه  
أن يدخله الي الدار ويحمل الجوال أيضاً إلى  
الداخل، ظل في دار الصباغ حتى قدر له الشفاء  
فأعطاه الجوال فأبى أن يأخذه كَفَثَهُ زجاجة  
الخمير التي استقرت في معدته فساهمت في



تخفيف الإحساس بالألم الذي صاحب دخول  
 الحربة، هو يعلم أن الزراع الأيمن لن يعمل  
 بشكله السابق، بالكاد سوف يتأثر بالخرق الذي  
 حدث للكتف فطلب من الصباغ أن يقرر له معونة  
 شهرية تعوض التقصير الذي سوف تسببه تلك  
 الإصابة، أمر صفوان أن يحمل الجوال إلى عربة  
 الرجل، فأقسم على ألا يأخذه، وضع يده على  
 مكان الجرح، كدت أقتل بسبب تلك الكمية من  
 الذهب والفضة التي لم يكن لمثلي أن يمتلكها  
 يوماً، ما قدر لي أن أحمل هذه القطع الذهبية في  
 يدي، وضعتها أعلى العربة وغادرت فرحاً ظننت  
 أن الله اختصني بالذهاب من تلك الطريق حتى  
 أعتري على هذا المصاب وتغدق عليّ بالعطاء حتى  
 تطيب نفسي ولا أريد شيئاً من الدنيا بعد عطائك،





ولكن الإله أبي أن أحصل على تلك الهبات، أظنه يعلم أن في عدم امتلاك أمثالي لمثل ملكك وأمثالك الصالح لهم، لقد امتلكت جزء صغير من ملكك وكنت أقدم روعي مقابل هذا التملك، أتى صفوان واعتذر من أخيه وطلب الصفح، وأخبره أن الصباغ قرن حياته بصفحه عنه وتفنن صفوان في طلب العفو حتى عُفي عنه.

خرج معه الصباغ إلى العربية فسأله هل رأيت من فعل هذا لولدي فهز رأسه نفياً، وأخبره بخبر القتييل وتساءلا لماذا سلك ابنه والقتييل طريق الأشجار القديم بالرغم من كون هذا الطريق لا يقدر الرجال على عبوره خروجاً من الأرض أو دخولاً إليها حيث أن هذا الطريق يرعاه بعد غياب



الشمس قطاع الطرق المروور في هذا الطريق  
يعني الرغبة في الموت

قطع حديثهما خروج جمال والذي كان قد تم  
شفاءه فقال لهما أنا لم اقطع طريق الأشجار،  
ولكني سمع صوت ارتطام فذهبت لأرى سبب هذا  
الارتطام فوجدت العربة والقتيل ففرت هارباً  
لأنجو بنفسى فلحقتني شيء أسقطني في حفرة  
وهوى فوقى بعصاة يقرعني بها على قدميا  
وأضلاعي، فقدت على إثر قرعه إياي وعي لم  
استفيق إلا على مخالاب غرابيب سود تغرسها في  
وجهي، وارسل الله أخي هذا الذي حملني على  
عربته وأتى بي إلى هنا فله در ما فعل وله من  
الله الجزاء الحسن على ما فعل فقال الأب ولقد  
أكرمناه واعطيناه مما من المنان به علينا من



الأموال خرجا يودعان الرجل ويصحبته إلى  
 حيث عربته والتي اخرجها صفوان أمام الباب  
 الكبير من مكانها التي قضت فيه فترة شفاء  
 مالها ركب وترك جوال الذهب والفضة وغادر  
 لم يجنى شيء سوى زجاجتي الخمر التي شرب  
 إحداهما كاملة، وأما الزجاجاة الأخرى فكان قد  
 شرب منها ما يقرب على نصفها قبل أن تستقر  
 حربة صفوان في كتفه فوقعت من يده وتناثر ما  
 بداخلها روى الأرض التي كانت قد منعت الماء  
 منذ أصبحت طريقا غير مياه الأمطار وبعد أعوام  
 حجبتهما الأشجار فأصبح لا ينالها قطر ولا  
 غيره....

خربت لزوال سبب الحياة منها تحرك فدخل  
 الثلاثة إلى الداخل وجميع الناس يتساءلون عن



هذا الشخص الذي خرج من دار الصباغ، متى دخلها؟! و لماذا يخرج معه الصباغ بنفسه عندما اتي صاحب الخزانات اكتفى الصباغ بإخراج صفوان معه وهو صاحب الفضل في نقل الماء من مخازن الصباغ إلى الأراضي المجاورة لأرض الإمام حتى تمكن صاحب المخازن من شراء جميع خزانات أصحاب الخزانات، ولقد وعموا قدر الجرم الذي ارتكبوه في حق أنفسهم واهليهم بالتخلي عن الخزانات مقابل عشرون كيلو غرام من الذهب ومثلهم من الفضة اعادوها في خلال عامين إلى صاحبها مقابل حصتهم من الماء التي كانت تأتي إليهم بدون دفع جرام واحد من الذهب، عملة الإمام لم يعد لها قيمة بين نظيراتها في الأراض الأخرى، فقدت القدرة على



حفظ القيمة فأصبحت أوراق فاقدة لثقة  
المتعاملين بها....

شياً فشيئاً أنكرها سكان أرض الإمام وجحدوها  
واسقطوا عنها كل قيمة حقيقية كانت تتمتع بها،  
كما أسقطوا عنها القيمة الأدبية التي يجب أن  
تتمتع بها عملة في صدر المتعاملين بها نظراً  
لعدم قدرتها على إتمام عمليات التبادل التجاري  
بين البلدان كما تفعل عملات البلدان الأخرى  
فاقروا الذهب و الفضة عملة رسمية لأرض  
الإمام وفي وقت لاحق أضافوا عليها النحاس،  
وبذلك اختفى كل أثر للنقود الورقية التي كانت  
تحمل في منتصفها صورة لخزان كبير مكتوب  
علي أطرافها الاربع "مال الإمام" ومكتوب أسفل  
الخزان فئة تلك الورقة، اختفى كل أثر كان لتلك



الورقة فأصبحت كأن لم توجد بالأمس لم يصل  
السائلون إلى إجابة عن سبب الخروج.

\*\*\*

دار الصباغ في العاشرة صباحاً....

يقف صفوان ناكس الرأس ويجلس جمال  
يتفحص القدم التي كانت مكسورة، يجلس  
الصباغ ووجهة إلى خريطة أرض الإمام التي  
وزع الماء بناء عليها وظهره لابنه و صفوان  
الذي ينتظر أوامر تصدر إليه لينفذها كما يفعل كل  
نهار، التفت صاحب الرداء الأسود و أمر صفوان  
أن يغير سعر الماء المدون على اللوحات في  
أرض الإمام كلها:

-ارفع السعر يا صفوان من جرامين من الذهب  
مقابل لتر الماء النقي إلى ثمانية جرامات مقابل



نفس اللتر واذهب إلى المنطقة "الزهران" حيث  
يسكن مُلاك الخزانات القدامى وأخبرهم أن  
الصباغ ابن الإمام وحامي الأرض يعتذر منكم  
ويحيطكم علماً بأن لتر الماء النقي ارتفع سعره  
إلى ثمانية جرامات من الذهب، نظراً لارتفاع  
تكلفة تنقية الماء وجعله صالح للشرب، وهذا  
لأنكم تستحقون أفضل جودة ممكنة، لكم الفضل  
على أرض الإمام كلها في حفظ الماء في خزانتكم  
التي جعلتموها لنا، حفظتم أرض الإمام حفظكم  
الله، ورضى عنكم الإمام ولكم درجة النقاء التي  
ستأخذونها خالصة من دون قاطني الاماكن  
الأخرى

نعلم فضل سكان المنطقة الأعظم في أرضنا  
"زهران" علينا قبل أرض الإمام، لكم تقدير



واحترامي واذهب إلى المنطقة "الميته" حيث  
يسكن أبناء العمال الذين يعينونا على جمع  
وتوزيع الماء وأخبرهم أن الصباغ ابن الإمام  
وحامي الأرض يعتذر منكم ويحيطكم علماً بأن  
لتر الماء النقي ارتفع سعره إلى ثمانية جرامات  
من الذهب، نظراً لارتفاع تكلفة تنقية الماء  
وجعله صالح للشرب، وهذا لأنكم تستحقون  
أفضل جودة ممكنة، لكم الفضل على أرض الإمام  
كلها في نقل الماء برجالكم وشبابكم الذين  
جعلتموهم لنا، حفظتم أرض الإمام حفظكم الله،  
ورضى عنكم الإمام ولكم درجة النقاء التي  
ستأخذونها خالصة من دون قاطني الأماكن

الأخرى





نعلم فضل سكان المنطقة الأعظم في أرضنا  
 "الميته" علينا قبل أرض الإمام، لكم تقديري  
 واحترامي واذهب إلى المنطقة "السراء" حيث  
 يسكن مُلاك الخيول ودواب الجر القدامى  
 وأخبرهم أن الصباغ ابن الإمام وحامي الأرض  
 يعتذر منكم ويحيطكم علماً بأن لتر الماء النقي  
 ارتفع سعره إلى ثمانية جرامات من الذهب، نظراً  
 لارتفاع تكلفة تنقية الماء وجعله صالح للشراب،  
 وهذا لأنكم تستحقون أفضل جودة ممكنة  
 لكم الفضل على أرض الإمام كلها في نقل الماء  
 بخيولكم ودواب الجر التي جعلتموها لنا، حفظتم  
 أرض الإمام حفظكم الله، ورضي عنكم الإمام  
 ولكم درجة النقاء التي ستأخذونها خالصة من  
 دون قاطني الأماكن الأخرى



نعلم فضل سكان المنطقة الأعظم في أرضنا "السراء" علينا قبل أرض الإمام، لكم تقديري واحترامي أما السكان الذين يعيشون معنا هنا بالقرب من أرض الإمام فلا داع لأن ترسل إليهم تلك الرسالة فيكفيهم شرفا كما يكفيننا أنا نجاور إمام هذه الأرض واخبرهم أن الماء غير النقي والذي يمكنهم استخدامه في ري النباتات أو غسل الأواني أو الاستحمام فقد انخفض سعره من خمسة جرامات من الفضة للتر الواحد إلى نصف جرام من الفضة، اخبرهم أن هذا الماء قليل الثمن لا يصلح لشرابهم، لا يصلح لشراب دواب الجر التي يرسلونها تعمل إلى جانب دوابنا ومن يقدم الماء غير النقي لتلك الدواب تأخذ منه دوابه وتكون لخدمة أرض الإمام وبدون مقابل:



-انصرف يا صفوان وأرجع بعد إتمام ما أمرتك  
واذهب إلى العمال اخبرهم بالأسعار الجديدة.

تحرك صفوان واغلق الباب من خلفه قام الأب  
الذي كان قد خلع غطاء الرأس الذي يغطي وجهة  
إلى جانب تغطية رأسه رفع عينه من النظر في  
الخريطة وتوجه تلقاء جمال والذي كان لم ينتهي  
بعد من الحركات التي أمره بها الطبيب لتعود  
قدمه إلى ما كانت عليه من قبل ساد الصمت  
لدقائق قبل أن يسأل الأب ابنه عن سبب اختياره  
لطريق الأشجار، فأجابه بأن القتل يجب أن يمر  
من طريق الأشجار القديم ليبلغ داره:

-الجسر يُغلق بعد صلاة العشاء ولا يفتح حتى  
تظهر شمس اليوم التالي معلنة عن يوم آخر من  
المعاناة ستعيشها أرض الإمام بسبب ما تفعل



أنت، انت من الإمام و الإمام منك، فيقبل الناس  
الدنية في كل شيء إرضاء للإمام، تكلفة تنقية  
لتر واحد من الماء لا تتعدى ربع جرام من الذهب  
وانت وضعت له ثمانية جرامات، دواب الجر و  
العربات يعملون بالمجان مقابل الحصول على  
حصه زيادة لأصحابهم من الماء النقي.....

العمال يعملون مقابل حصة لهم وأخرى لذويهم  
الإمام لن يرضى بما تفعل ما دامت أرضه أقدم  
الأب وقال في اذن ابنه من الظالم؟! لم يعقب  
الابن فأكمل، الظالم هو من كان سبب في موت  
عشرة أشخاص لا ذنب لهم سوى أنهم أصدقائه،  
يجلس معهم يحدثهم بأشياء لا يحق له أن يتكلم  
فيها فيأتون إلي طامعين طالبين ما ليس لهم  
بحق فيكون قبض أرواحهم هو الثمن الذي



يدفعونه مقابل فعلتهم هل الظالم هو من يريد تحقيق ربح أكثر من أناس أغنياء أم هو الذي جاءته نجلاء أرملة أحد أصدقائه الذين قتلهم تطلب منه أن تقابل أبيه وصاحب الفضل عليه ليزيد لها حصة الماء لأنها لم تكف كافيها ولبناتها السبع فيرغمها على لقاء استحل به ما حرم الله يستحل زوجة صديقة الذي قتله مستغلاً حاجتها لو أن بيننا ظالم فهو انت يا جمال انت من قتل واستحل وبغى في أرض الله، انت من اتخذت حاجة الناس تجارة لك من أجل كل هذا أصدرت عليك حكمي بأن تترك أرض الإمام إلى أجل غير مسمى، وأما عن إدارة الماء من بعدي فسوف تكون لسلسبيل صاحبك الوحيد الذي نجى من بطشك، يمكنك العودة إلى أرض الإمام



واسترداد ملكك بعد فترة فلقد أعلنت منذ إصابتك  
انك تركت العمل هنا وسوف تذهب إلى الأراضي  
المجاورة لعلك تأتي بشيء يفيد الناس سكان  
أرض الإمام، ارحل الآن.

\*\*\*

الساعة الرابعة مساءً أمام المسجد الكبير...

ترتدي جلباب بلون السماء، وحجاب أبيض، وجهه  
أبيض مع بعض النقاط السوداء المتبعثرة في هذا  
الوجه عينان كحيلتان و انف مقبول، وفم صغيراً  
إلى حد ما أقبلت عليها "مريم" وسألتها عن  
اخبار جدتها ملاح فأخبرتها أنها بخير، سألت عن  
أمر بينها وبين جدتها فأخبرتها أنها قد نفذت ما  
وعدت به و أخرجت من صدرها زجاجة عطر  
صغيرة أفرغت محتواها ووضعت له ماء أسود،



واخبرتها أن تضع منه كل يوم نقطتين في طعام  
أو شراب وسوف يصبح كالخاتم في إصبعها،  
سوف يكره جميع النساء إلا أنت يا مريم أرادت  
مريم الانصراف فأمسكتها وطلبت منها ثمن هذا  
الدواء حتى يبارك الله لها في زوجها أخرجت  
خمسة آلاف جنية وناولتها إياهم وقالت لها  
ابلغي سلامي للست ملاح فابتسمت تحركت مريم  
إلى حيث أتت انتظرت شاهندا حتى وجدت زبون  
آخر أخذته إلى جدتها و اكتفت به في ذلك اليوم  
دخل وقبل يدها وكانت امرأة عجوز جاوزت  
الثمانين من عمرها ترتدي ملابس سوداء من  
منبت شعرها إلى اظافر أقدامها، جلس أمامها  
ووضع يديه على فخذه وبدأ يروي:



-لي جار لم أرى منه إلا السوء و الأذى منذ  
جاورني، يضرب ابنائي، ويلقى علينا مخلفات  
ماشيته، ويضع السم لدوابي في الماء، ما وجد  
شرا إلا وبارزني به، وأنا على مدار الأعوام  
الماضية لم افكر حتى في رد الشرور التي  
يفعلها، ولكن ضاق صدي زرعاً بما يفعل  
وضاقت عليّ الدنيا فعزمت على القدوم إليك  
لتنظري هذا الأمر وتفعلني الصالح، انت يا بركة  
زين من يعرف الصالح ويحبه، وزين كل صالح .

ابتسمت فكشفت عن فكين لم يعد بهما سنة ولا  
ضرس، ظهرت التجاعيد رغماً عنها، حاربتها  
بكل أسلحتها ولكنها إرادة السماء نادت على  
شاهدا فأحضرت البخور و أشعلت الفحم فارتفعت  
رائحة البخور حتى خرجت من نوافذ البيت علم





الناس أن أحداً سوف يؤذي، من هو؟ ومتي  
 سيحققه الأذى؟ ولأي سبب سوف يلحقه الأذى؟  
 لا إجابات لديهم ولا يستطيعوا أن يفعلوا غير  
 الانتظار مترقبين من الذي كان دور سهمه  
 ليكسر، أطلقوا أسننتهم لتخوض في عرض  
 ملاح، سبواها ودعوا الله أن يخلصهم منها خرج  
 من بينهم صوت بأنها لن تموت، كسرت قواعد  
 بني آدم وأصبحت من الخالدين، لأنها سافرت في  
 الصغر مع أبيها إلى أرض الإمام وكان يخرج  
 روحه إلى بارئه اختارت الروح أن تسكن في  
 جسدها ورفضت الصعود فاعلنها ذلك الحدث من  
 الخالدين، من يتمتع بروح إمام لا يمكن أن يموت  
 إلا عندما يولد امام آخر يأخذ تلك الروح  
 المقدسة، وكما تعلمون أن هذا الإمام هو آخرهم



لم يعقب أحد فأكمل ولقد علمت أنهما طردا من أرض الإمام لما عُرف ابوها بالسحر، وكان قد علمها في فترة سابقة، كانت لا تشبه الناس، تعلمت في الصغر ما يصعب علي رجل منا تعلمه الآن:

-أُخرجنا لأن السحر في أرض الإمام نجس، ولا يمكن أن يجتمع الناس في مكان فيه إمام، خرجنا فتشككت في صورة شابه حسناء واغوت رواد طريق الأشجار القديم والذي هو شريان الحياة لأرض الإمام فهو الذي يصلها بالأراضي الأخرى بأن يحملوها وهذا العجوز إلى أرض الخالدين ...

اغرتهم أنها من الخالدين فحملوها ليحصلوا على البركة، و وما إن وصلت إلي هنا حتى أشارت



للجامع الكبير فخرج من تحت الأرض و أشارت  
إلى النهر فجرى وظل هذا الحديث حتى خرج  
الزبون وفي يده اخت الذي اخرجتها شاهندا من  
صدرها وكما قالت لمريم:

-أنثر منها على داره كل يوم عشرة قطرات  
وسوف يكف أذاه عنك....

وطلبت خمسة آلاف جنية، أخبرتها شاهندا بأنها  
يجب أن تتوقف عن هذه الأعمال التي لا تمنحها  
سخط الله و الناس، نظرة من عينان لم تعدا  
قادرين على رؤية النور إلا بأقل من عشر القدرة  
العادية، وجذبتها من زراعها و قالت :

-لقد نشاء أبوك طفل صغير لأب عظيم، أكبر  
ساحر في أرض الخالدين لكنه لم يكن ليصبح  
مثل هذا العظيم الذي علمته أنا ففاق معلمه و



سبقتي بمراحل كثيرة ولكنه توفي بعد إرث  
تاريخي ضخم من الأعمال، شهد بها جميع الناس  
أنه كان رجل لا مثيل له، أحب علماء من الله عليه  
به على يدي فعمل به نعم ما يعمل رجل تعلم بما  
تعلم يكفي أبوك شرفاً أنه ابن السماك ويكفيك  
انك ابنته فتاة غيرك كانت تسجد لله شكراً على  
النعم التي لم تسعى لتحصل على واحدة منها،  
اصطفاها الله ليمنحها من النعم ما يكفي لألا ترفع  
رأسها من سجود الشكر إلى أن تقضى كل حياتها  
تشكر المنعم على تلك النعم المجانية التي لم تدفع  
مقابلها شيء، انتي تكفرين بتلك النعم و تطلبين  
مني أن أخالف إرادة الله و اغضبه بأن ترك  
نعمة من بها عليّ، لقد ورثتها كابراً عن كابر  
حتى اقترنت بنا فأصبحنا متصلين لن نفترق حتى



نزول أو نزول السموات والأرض أي الاجلين  
أقرب

\*\*\*

أمام دار جمال الصباغ....

الساعة السادسة والنصف صباحا يقف خالد أبو  
الحديد أمام باب خشبي بني اللون نقش عليه  
بلون الذهب "منزل م جمال الصباغ" و مقبض  
لامع نقش عليه باللون الأسود "إلا أن يشاء الله"

لا يفعل غير الوقوف، لعله واقف منذ الليلة  
الماضية منذ دخل صاحب الدار وغادرت الضيفة،  
وقف في ليلة من ليالي ديسمبر يحتمي من  
الأمطار بشجرة التوت التي كانت على الناحية  
الغربية من ترعة المياه، سُحب أجبرت القمر  
على التستر، صوت الرعد حرك شيء بداخله لم



يحركه غيره إلا رؤية بنت الصباغ بعد استتار  
استمر ثلاثة أعوام قبل أن تُشرق مره أخري في  
سماءه معلنه أن النهاية لم تحن بعد قطار العمر  
يمضى ولكنه لم يبلغ بعد وجهته الأخيرة اتقى  
البرد بعباءة وضعت على رأسه و اسدلت على  
كتفيه و مرت إلى أسفل ظهره، يرى ثاني أكسيد  
الكربون الذي حمله زفيره يراه يتلاشى في الأفق  
كما تلاشت الأيام وفقد الزمن سحره منذ رحلت  
بليل ولما بلغت الساعة السابعة إلا ربع صباحاً  
سمع حركة داخل الدار شحن رئتيه بشهيق طويل  
وأخرج زفيراً لم يعد يراه ارتفعت شمس يوم  
جديد معلنه عن يوم آخر من معاناة العمال، بكاء  
الفاقدين على مفقوديهم، و أعلنت في تلك المرة  
نظرة وحديث هما الأهم في حياة خالد ابن إسعاد



أبو الحديد للمرة الأولى منذ أدرك الدنيا سوف يقف إلى جانبها لا يفصل بينهما غير بضع عشرات من السنتيمترات هو خارج الباب وهي داخله، لن يفصل بينهما إلا مقدار الباب، شهيق وزفير مرة أخرى تبعها شهيق وزفير آخر حتى صارا مائة بعد الزفير المائة طرق الباب، بضع دقائق وقفت خلف الباب وسالت من الطارق فأجاب أنا خالد أبو الحديد ففتحت، حجاب غير مكتمل يخرج خاصة من شعرها الأسود الخشن لتتدلى على حواجب كثيفه كحواجب أبيها ولكنها أكثر تهذيباً من حواجب الوالد، لم يكن بها شيء يميزها عن غيرها فجميع النساء نفس الشيء لهن نفس المذاق ولكن لكل حواء مذاق عند آدم



نظر إليها ولم يتنفس فالتصمت في حرمها من  
قبيل شكران النعم، بادرته بسؤالها:

-جاي ليه بدري كدا

-الميه، فيه ميه عمي قال إنه حملها من أرض  
الإمام لهنّا عشان عبدالله وانا جاي اخدها، و  
كمان قال إن محدش يعرف مكان الميه دي غير  
نعمات فانا كنت جاي بس اطلب الميه دي.

دخلت فظهر السبب الذي جعل خالد يريدّها ولا  
يرد إلا هي، حتى أنه أعلن أنه سوف يدخل في  
خدمة المساجد كما يخدم الرهبان كنائس أوروبا  
حتى تعود هي أو يظل عمره كله يعمل في خدمة  
المساجد حتى يردها الله خرجت إليه تحمل  
زجاجة كبيرة من الماء أعطته إياها و قبل أن





تدخل باغتها بما جعلها تبدل قرار الدخول  
بالمكوث لتسمع:

- مشيتوا من غير ما اي حد يعرف ليه؟ هل دي  
أوامر و انتي نفذتيها ولا كان اختيارك؟ ولو  
فرضنا أنه كان أمر أو كان باختيارك ليه تفضلي  
تلات سنين بعيدة عن البلد اللي تعرفي كل حاجه  
فيها عشان بلد متعرفيش فيها حاجه، عرفيني  
ازي عرفتي عمليتها، يمكن نتعلم في مرة نبعد  
عن كل الناس و الحاجات اللي نعرفها عشان  
مكان أو أرض تانية

-انت متعرفش حاجه، وقلّة المعرفة دي هي  
مشكلة كل الناس، كل واحد شايف الدنيا بعينه  
هو بس و فاكر أنها على حد كذا و بس، لكن لا،



دايما فيه حته مضامة مفيش حد بيعرف يشوفها  
غير اللي تخصه، اللي تخصه و بس يا خالد  
-و ايه الحاجات دي؟

-مش مهم تعرفها دلوقتي، ممكن تعرفها بعدين و  
ممكن تعيش و تموت و متعرفهاش، و شكرا يا  
خالد على زيارتك لقبر أمي، نورهان قالتلي على  
كل حاجة طلعت ابن أصول يا خالد على عكس  
كلام الناس عنك انت و أبوك، وبعدين انت  
واخدني عالحمي كدا، امك و البت اختك عاملين  
أيه؟

-ناوية تمشي تاني؟

-مش عارفه بس عارفه اني لو مشيت هكون  
مش خايفه على حاجتنا اللي هنا عشان انت



موجود، ووجودك زى ما اكون انا اللي موجوده هنا.

-هشوفك لو جيتي ماشية؟

-والله مش عارفه ، على حسب قرار أبويا، ممكن يعرفني ساعتها ممكن تشوفني، و ممكن لاء برضوا محدش ضامن الظروف .

-مفيش شوية مية زيادة ليا؟

- شوف أبويا .

كان من المفترض أن يذهب بعد تلك الكلمة ولكنه ظل واقفاً ينظر إليها، نظرت إلى سقف الدار، عبثت في أنفها، وكل الحركات التي قال علماء النفس أنها تعنى الرغبة في إنهاء الحديث ولما لم تجدي تلك الحركات ولم يتحرك على إثر حدوثها أعلنتها وهي تغلق الباب أن ارحل يكفي



وقوفك إلى هذا الوقت، احتجت بالصلاة، أغلقت الباب ودخلت، شربت كوب من الماء و ارتمت على سريرها مجدداً ذهب إلي عبدالله أعطاه الماء، وترك العبادة التي اغرقها المطر لتجفف وأخذ واحده أخري و تحرك إلى دار أبوه ليلقي بنفسه على سريرة، يرتعد كمن لدغته حيه، قاوم البرد كما يقاوم الملدوغ السم جالست الأم ابنها المريض حتى شفي بعد عشرة أيام اذاق سكان الدار التعب و الأرق واضطرابات في كل شيء، لم يكن يتحمل الحمى التي أصابته بها مياه المطر، قاومها ولكنه لم يلقها حتفها بسهولة، بجهاز مناعة متهالك لا يمكنك توجيهه ضربة قاضية لفيروس، ترسل واحده لا تقضي عليه فيكون مناعة من تلك الضربة، ترتفع الحرارة،



يصعب التنفس، يضيق الصدر، تعمل الغدد  
الدمعية ويجف الحلق، في بعض الأحيان تلتهب  
اللوزتين فيصعب ابتلاع كل شيء حتى يظن أن  
الموت أرحم، أحن أفضل و أطيّب ظهرت كل  
هذه الأعراض فأصبح يتمني لو أنه لم يقدم  
عرض بإحضار الماء إلى عبدالله، ثلاث سنوات  
مرت ما هو المانع إذا أصبح ثلاث سنوات  
ونصف يوم، أو ويوم علم من حديث أبيه أنها  
غادرت مع الوالد إلى أرض الإمام نعت نفسه  
بالغبي مع تكسير كوبا كانت توضع له فيها  
الماء.

\*\*\*

أرض الإمام، مقام السيدة الحوراء،



جلس جمال الصباغ يرتدي ثوبه الأبيض المنقوش عليه "من أجل أم العواجز، من أجل الحوراء" على كرسي أبيض كبير مزخرف باللون الذهبي ومكتوب عليه بالخط العربي العثماني "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" وبخط عريض بلون أزرق كتب "خاص بالمحدثين" على يمين المقام، أمامه منضدة عليها أطباق مملوءة بجميع أشكال الفاكهة و شتي ألوان الطعام تفصل بينه وبين الناس ولما كان اليوم هو يوم الحديث عن السيدة استهل الحديث عنها و هو يقول:

- مرحباً بالهاشمية، السيدة بنت الإمام على الكريمة قد حُسبنا، ومن حُسب حاشا يُضام .  
ولها حقاً اتنا في خضوع واحترام



التوسل أمر وسنه، توسلاً يمحوا الظلام  
 الله، يا كريمة انظرينا نظرة تشفي السقام  
 من يُقبل أعتاب قبرك ينبغي ألا يُلام  
 إنما التقبيل حُبٌ للذي سكن المقام  
 ليس إشراكاً و كفراً فاطرحوا جهل العوام  
 كعبة الأسرار حقاً، جدها خير الأنام  
 أخت الحسين إذا وقفت ببابها  
 عفر جبينك في ثري اعتابها  
 هي حيدرٌ هي فاطمٌ أحمدٌ بصفاتهما، هي زينبٌ  
 وكفى بها  
 من حق طيبة أن تتيه على الورى  
 بمقام خير الخلق مولانا النبي  
 ولنا أرض تتيه بدورها بمقام سيدنا الإمام و  
 زينب



هي من لها فضل سمي، من سلاسة سيدنا النبي  
في الطيبين

لها نور يُضيء كمثل شمس من المختار نشهده  
مُبين

ولو كُشف الحجاب لناظرينا لولوا من جلال  
هائمين

عليها الله يرضى كل حين

و اللهم ارضى عنا و السامعين

كلامنا اليوم عن البيئة التي منها ستتنا أم  
العواجز، ستنا الحوراء زينب بنت بنت رسول الله  
من أبوها؟ أبوها الفتى الغالب علي ابن ابي  
طالب، الإمام الكرار الذي لا يشق له غبار حامل  
راية الرسول سيدنا ومولانا الإمام علي جبريل  
نادي معلنا والجمع ليس بمنجلي





و المسلمين قد أحدقوا حول النبي المرسلِ  
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي  
واما نقول يا سيدنا علي عرفنا بنفسك يا مولانا  
هيقولك محمدُ النبي اخي وصهري، وحمزة سيد  
الشهداء عمي وجعفر الذي يضحى ويمسي يطير  
مع الملائكة ابن أمي  
وفاطمة بنت رسول الله زوجي  
منوط حبها بدمي ولحمي  
رزقت منها بولدين جدهما النبي فمن له سهم  
كسهمي؟  
من أمها؟

بضعة الرسول، فاطمة البتول عليها السلام من  
أرضها فقد أرضاني ومن أسخطها فقد أسخطني  
هكذا قال عنها سيدنا النبي محمد اللهم صل عليه



اكمل نساء العالمين علي الاطلاق هي أمها  
السيدة فاطمة بنت النبي فهي كاملة بنت كاملة  
بنت كامل اخت الكُمل وأم الكوامل الوحيدة في  
نساء العالمين التي انفردت بهذا الوصف هي  
بضعة الرسول ستنا فاطمة ام ستنا أم العواجز،  
ستنا فاطمة عليها السلام افضل من أمها السيدة  
خديجة رضي الله عنها السيدة خديجة زوجة  
الكامل و ام الكوامل ولكنها ليست بنت الكُمل ولا  
اخت الكوامل، السيدة مريم نفس الكلام، أم النبي  
عيسى و بنت عمران بس برضوا لازم تلاقي  
حاجه كدا تحول بينها و بين الكمال، ستنا فاطمة  
أفضل من حواء الأم الأولى و افضل من مرات  
فرعون و افضل من كل نساء العالمين لدرجة أن  
سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام عندما حضرته



الوفاة قال لها يا فاطمة انتي سيدة نساء أهل  
الجنة

ستنا السيدة زينب هي العقيلة بنت العقيلة ،  
السيدة ام العواجز ابوها علي ابن ابي طالب و  
امها فاطمة بنت النبي ، جدتها السيدة خديجة،  
نتوسل بالحُبابة

و البتول المستطابة  
والنبي ثم الصحبه  
فعسى دعوة مجابه

جدها سيدنا محمد، اللهم صل عليه، من اخوتها؟  
سيدنا الحسن و الحسين و المُحَسَن و أم كلثوم،  
من اخوالها و خالاتها؟ هم ابناء سيدنا محمد،  
خالها القاسم ابن سيدنا محمد الذي كان يُكنى به  
عليه السلام و إبراهيم ابن سيدنا محمد وهو



الوحيد الذي انجبه سيدنا محمد من غير السيدة  
خديجة أمه هي السيدة ماريه المصرية و عبد الله  
ابن سيدنا محمد.

من خالاتها؟

السيدة زينب بنت سيدنا النبي صلى الله عليه و  
السيدة رقيه بنت سيدنا محمد و السيدة أم كلثوم  
بنت سيدنا محمد و امها السيدة فاطمه

من زوجها؟

عبد الله ابن جعفر الطيار جعفر بن أبي طالب و  
اولادها خمسة كانت السيدة الحوراء أمأ و أختاً  
فقد ماتت السيدة فاطمة بعد النبي بستة أشهر  
بالرغم من أنها كانت اصغر من الإمام الحسين و  
اصغر من الحسن إلا أنها قامت بدور الام و  
الأخت بامتياز منقطع النظير، لذلك لقبت بالعقيلة



لدرجة إن ابن عباس كان يقول حدثتنا عقيلتنا سيدنا الإمام علي ما كان يقدم علي أمر من أمور الحكم أو الأمور الخاصة إلا و اخذ برأيها لذلك لقبت بصاحبة الديوان ولها عليها السلام كرامات شهدها صغير أرض الإمام وكبيرها.

تدخل في تلك الأثناء نعمات في كامل زينتها، لامعه كنجمة في ليلة مظلمة، جميع النساء الاتي كُنَ في حضرة الحوراء سيدة الأرض يرتدين ملابس بالية تخبر بنفسها عن الطبقة التي أتوا منها إلي مقامها الطاهر، طبقات في كل شيء، في المظهر و المطعم و المشرب في درجة الذكاء، في حصة المياه النظيفة وهذا هو التمييز الأهم، هي الطريقة التي تغير حياة الإنسان من سكان أرض الإمام للأبد، أما أن يحصل على



الماء النظيف فيرتوي أو ألا يحصل عليه فتحترق  
 خلاياه عندما كانت نعمات بنت صاحب الماء فقد  
 تفوقت على نساء أرض الإمام كلهن في مظهرها  
 و مطعمها و ملابسها و مشربها ذكاء مزعوم  
 ألصق بها على غير الحقيقة:  
 -تعالى يا نعمات...

فاقتربت فأعلنها: نعمات منى من أسعدها فقد  
 اسعدني ومن اسعدني حصل على حصته من  
 الماء النظيف ومن اغضبها فقد باء بغضبي،  
 ومن يغضبني فسوف تحترق خلاياه ظمأ.  
 اقتربت فأعلنها الوريثة الوحيدة الشرعية لملك  
 الماء من بعده:



-طلبتها أم العواجز لتخلفني ليصيح صفوان  
تعيش ستنا وتحكم ، تعيش ستنا وتحكم ، تعيش  
وتحكم.

ابتسم جمال الصباغ و أخبر الحضور أن صفوان  
سيعينها في توزيع الماء فهو على دراية بطرق  
للتوزيع من أيام جدها على الصباغ:

-ولصفوان أن يوكل من يراه مناسباً لمساعدة  
ابنتي.

قام واجلسها على الكرسي الأبيض مُعلنًا أنها  
المحدثّة من بعده، هي التي سوف تمنح الناس  
النفحات الأمامية التي ترسلها السيدة الحوراء  
والتي حصلت عليها عن طريق أبيها الإمام سيدنا  
علي ابن أبي طالب، اخذتها من جدها سيدنا  
الرسول الأعظم صاحب الرسالة لم تكن نعمات



هي وليدته الأولي فقد سبقها خالد ولكنها تربعت  
على قلبه فأعدها لتصبح سيدة الأرض من بعده  
ارتدت أثواب الرجال فأمرها فانتهت، أمرها  
فازدادت وقاراً، زادها الوقار هيبة في نفوس  
الخلق ارتدت الأسود والأبيض الأحمر  
المزركش، تضع غطاء شفاف فوق شعرها  
الأجد الذي وصل إلى أسفل ظهرها فتنت كل  
رجال أرض الإمام ولكن لم يجروا أحدهم على  
إطلاق النظر فيها فهي السيدة بنت الإمام لم يكن  
يحق لأحد أن ينظر إليها خوفاً من الحرمان،  
السلح الذي داوم أبيها شاهراً إياه في وجه سان  
أرض الإمام طوال فترة ملكة للماء، نفس طريقة  
على الصباغ نفس سلاحه، نفس غطرسه، نفس





نهج الحياة المتبع، الترغيب يأتي بمن لا يأتي به  
الترهيب

رغب مساكين أرض الإمام في كل شيء إلا هي،  
فقد طلبها أناس كثيرون للزواج منهم من  
استحسنها ومنهم الطامعين في جرائم الذهب  
التي كانت لعلي الصباغ وحافظ عليها سلسبيل  
بترول لمن هي من نصيبه، رجعت لمن أبعد منذ  
كان شاباً لم يراها مرة أخرى إلا ومعه النعمات  
ابنته جاء إمام ابن سلسبيل يطلبها للزواج  
بالرغم من كونها تكبره بأعوام، فرده دونما  
إجابة لطلبه، طلبها ابن صفوان فرفضه بالرغم  
من أنه لا يجحد ما لصفوان من فضل في  
استمرارهم في ملكية الماء بعد أن بلغ على  
الصباغ من الكبير عتيا حمل هو مسؤولية الماء



النظيف و حمل أرواح سكان أرض الإمام على كتفه ومضى ماشاء الله له أن يمضى حتى حمل سلسبيل عنه تلك التكاليف التي لا يطيق امثال صفوان تحملها أخلص صفوان لصاحب لقمة العيش الذي رباه في دارة، طبيه عندما مرض، حفظه بعد وفاة أبيه، لم يحمله بما لا يستطيع، لم يكفه إلا بما تؤهله قدراته لفعله وتعيّنه بنيته الجسدية على فعله جلست على الكرسي الأبيض و أوقفته خلف ظهرها إلي جانب صفوان الذي كان في نفس عمره ولكن يبدووا للناظرين بكبره بمرة ونصف انحنى ظهره الذي كان سبب صلابة ظهر على الصباغ ومن بعده سلسبيل الإمام و من بعده جمال الصباغ، وها هو الآن سوف يقوي من ظهر نعمات جمال الصباغ، حتى



يعود أخوها الذي لن يحتاج صفوان ولو  
 يحتاجها معه ولن يحتاج جمال الصباغ ولن  
 يحتاج لأي أحد هو أشبه الناس بجده الصباغ،  
 كل شيء فيهما واحد إلا العين الغائبة وتجاويد  
 الشيخوخة وطريقة الأمر و النهي.

\*\*

دار علي الصباغ...

جلس على كرسي الوالد ينظر إلي خريطة  
 التوزيع ويتمم

-لازم تتغير، لازم نعمات تغيرها وتعمل إعادة  
 تخطيط أرض الإمام من أول وجديد، لازم الناس  
 تعرف إن بنت جمال الصباغ فيه بينها وبين ستنا  
 الحوراء و بينها وبين سيدنا الإمام صلته و سكه  
 ميعرفهاش إلا كل محب ليهم الاتنين، وقت ما



يتحقق الحب ده ساعتها بس الواحد منهم ممكن يعرف سر الصلة بين بنت الإمام و بين الحوراء تضرب بيد من حديد و الناس يعرفوا إن خيرهم وحياتهم مقتربين بيها في الوجود و العدم، ببركة نعمات اللي وصلتها عن الحوراء الخير هيفرق المكان، هيعدي الركب وهو طالع لفوق.

قطع تلك التتمته صوت صفوان الغليظ وهو ينادي على جمال ليخبره أن هناك من يطلب الأذن بالدخول ويقول إنه أحد المعارف القدامى فأذن له دخل عليه وبعد إلقاء السلام قال له:

-انا هحكياك قصة لو عجبتك و افكرتها يبقي تنفذ اللي اطلبه معجبتكش همشي و مش هجياك تاني بس انا متأكد انك هتنفذ طلبي.



أقدم عليه وأشار إلي دفتره في يده وأخبره أن  
القصة في اوراق هذا الدفتر وأنه يفضل أن  
يقرأها هو بنفسه حتى لا يسمع أحد من  
الحاضرين بما تحويه هذه القصة من اسرار لو  
كُشفت لكان ملكه هذا إلى زوال أخذ الدفتر الذي  
يظهر من غلافه الزمن الذي مرة على كتابة هذا  
الدفتر ركضت رائحة الماضي إلي انفه فضاق  
صدره، تسارعت ضربات القلب مع تقلبات حلت  
بمعدته فتح أول صفحة من الصفحات فوجد أنها  
يومييات لصاحب الدفتر، كتب عن مولودة الأول،  
عن زوجته وجمالها، ظل يقلب في الأوراق التي  
تحمل ذكريات الكاتب حتى وصل إلى واحدة كتب  
على رأسها "اليوم الموعود" بداء سطرها  
الأول...



في تلك الليلة التي غاب فيها القمر في السابع والعشرين من شهر محرم كنت عائد من أحد النقلات حتى لاحظت أحد الأشخاص يحمل حقيبة قماشية على ظهره يظهر ما بداخلها فكانت مجموعة مختلفة من السكاكين يدخل إلى طريق الأشجار القديم أوقفت حصاني وسرت على أطراف أصابع أقدامي اختبئ خلف الأشجار فرأيته يمسك واحدة من تلك السكاكين وذهب إلى عمود الإنارة الوحيد الذي ما زال يعمل في طريق الأشجار واطفىء نوره واختبئ خلف شجرة الجميز علمت أنه ينوي افتعال الشر مع السكين الذي يحمله هو بالكاد ينوي الشر كان يقف خلف شجرة الجميز التي تبعد خمسون مترا عن بداية طريق الأشجار فذهبت الخمسين مترا تلك



وانا ممسك لقلبي خشية أن يقفز من بين  
ضلوعي بعد بضع دقائق وجدت أصوات أرجل  
أحد الأحصنة تدب على الأرض حاجة العجلات  
إلى الشحم كان يخبر أن تلك هي عربة طه  
سليمان إسماعيل أكبر مورد عمال إلى دار  
الصباغ أصحاب ملك الماء بدد سكون الليل  
نقرات أرجل حصانه بدقة قاربت على دقة النحت  
الروماني والنقوش و الفن الفرعوني، فاتبعته  
حتى اضطربت خطوات الحصان وسمعت صوت  
ارتطام شديد فذهبت مسرعاً فوجدت طه قد قُتل  
وعرْبته على جانبها والحصان معلق فيها،  
حررت الحصان فانطلق كالذي يظن نفسه فارا  
من الموت أغضت عينا طه وذهبت لأتبين القاتل  
فوجدته جمال على الصباغ وجدته فاقد الوعي



فجلست على مقربة منه حتى بعث الله له غرابا يأكل من وجهه فتركته وذهب لإحضار العربة ذهبت إليه كأني جاهل بفعلته أو بما يحمل في حقيبتة أو بشخصه طلب مني أن أحمله لدار الصباغ ففعلت أكرمني على الصباغ أيما كرم واعطاني من الذهب والفضة ما طابت به نفسي فلما غادرت داره أرسل صفوان خادمهم ليقتلني فنجاني الله منه إلا جرح في كتفي استضافني في داره حتى أتم الله عليا نعمة الشفاء فغادرت دار الصباغ والتي لن ادخلها أبدا مرة أخرى ما دامت السماوات والأرض ابتسم له وسأله إن كان يحمل في نفسه شيء آخر له فأجابته بالنفي، فألقى الدفتر في نار كانت أمامه، وبدون أن ينظر إليه:





-طيب وده ينفع؟!!

لم يعقب فأكمل :

-بيني وبينك مينفعش ، تـووو أصل مش دي  
الطريقة اللي تلاعب بيها واحد زي جمال الصباغ  
مصيبة لتكون متعرفش يعنى ايه جمال الصباغ ،  
تعرف طه اللي أبوك شافه ميت ده كان أقرب  
الناس لقلبي ، مات عشان عرف حاجه مكانش  
المفروض يعرفها، زيك كدا، بس انا مش هموتك  
دلوقتي انت ضيف عندي لغاية ما نشوف هنعمل  
فيك اي، تقدر تعتبر نفسك في المنتظر مستتي  
تنفيذ إعدامك، هتاكل وتشرب و مش هتكلم اي  
حد ولا حد هيكلمك لغاية ما نشوف اي العمل  
معاك يا ابن الشاهد، يا ابن البطل يا ابن اللي أنقذ  
حياة جمال الصباغ يا ابن الكلب، يا صفوان، خد



ابن الكلب ده ارميه زي ابوه لغاية ما نشوف  
 هيموت ولا ربنا كاتبه عمر ولا ايه اللي هيجصل  
 معاه

قاده صفوان إلى باب كبير وأخرج سلسلة مفاتيح  
 ضخمة انتقى منها واحداً دسة في ثقب الباب،  
 وبسبع حركات دائرية باتجاه اليسار فتح الباب  
 وأدخله وطلب منه ألا يصدر صوتاً لأنه الذي  
 سيتولى مراقبة أفعالها في تلك الفترة التي سوف  
 يقرر ابن الصباغ ما سيفعل به، أراد أن يعرف  
 مصيره فلم يجبه أحد، صرخ وأصدر فوضى،  
 فأشار إلى السوط، ده مش للتهويش، ده يضرب  
 يعلم يكرهك في هدومك متطيقش تحطها على  
 جتتك، وأنا معنديش أي مانع اني اعمل كدا،  
 انت مش حبيبي اللي قلبي هيتقطع أما أشوفه



موجوع، يا غبي يا ابن الغبي، حد يلاعب جمال  
الصباغ بالطريقة الرخيصة بتاعة العيال دي،  
أبوك بنفسة مقدرشي يقول نص كلمة عن قتل  
جمال لصاحبة، انت بقى السبع رجالة في بعض  
و هتيجي بسهولة كدا تقول لجمال إنك عارف  
عنه كل حاجه و عارف قتله و عارف كل حاجه،  
كل حاجه و مستني منه يقولك أيه؟! لم يعقب  
فأكمل، اجمد منك مئة مرة وقتلهم جمال، في  
الغالب انت ميت خلاص، اعمل بقى حاجة تقابل  
بيها وجه كريم

-هو انا عشان عاوز حقي أموت؟! أمال حوراء  
مين بقى اللي بيروح عند مقامها ويعيط، يكلم  
الناس عنها و عن كرامتها ويبكي هي أمنا أم  
العواجز الحوراء زينب بنت بنت رسول الله



ترضى بالظلم ده!، مستحيل حد من النسل  
الظاهر يوافق بكدا، تقولوا ان الظلم ظلمات،  
وبتظلموا، تكلموا الناس عن العدل و تدوسوا  
العدل و تكلموا في طريق الضلال بتاعكوا، ازاي  
كدا؟

- ده نسل الإمام ...

\*\*\*

أرض خالدين وقت العشاء...

مر خالد أمام دار الصباغ التي هجرها فأصبحت  
كان لم تغن بالأمس فوجد المصاييح مضاعة،  
ارتسمت على وجهة ابتسامة استحضرها للتو  
وبدى يسعى إلى باب تلك الدار، طرق الباب  
لبضع دقائق قبل أن يجيب صوت أنثوي:

- "مين"



ليجيب بسرعة:

- أنا خالد أبو الحديد

فتحت الباب فتغير ماء وجهة ترك بسمته و عقد

جبيئة مائة وأحد عشر

- انتي بتعملي أيه هنا؟

- أنت عاوز اي حاجه؟

- بتعملي أيه هنا و مين أذن لك تدخلي هنا، هو

جمال الصباغ يعرف انك بتدخلي البيت وهو مش

هنا؟

- عاوز اي لأنني مش فاضية للعب العيال بتاعك

ده، أخلص لأنني مش فاضية.

- انتي لواحدك ولا معاكي حد؟

- هو تحقيق؟!، وبعدين مين اللي هيكون معايا

يعني؟



-نعمات، مثلاً.

تتفست الصعداء واسـتجمعت قواها لتخرج  
صوتها الذي كاد يُحبس في صدرها.

-نعمات، لاء مفيش نعمات ولا نعمة واحدة  
حتى، ويلا يا شاطر من هنا بقي لأني مش فاضية  
- طيب متعرفيش هتيجي قريب ولا لاء

-هو انا ولي أمرها يبني، يلا شوف انت رايح  
فين، ومتجيش تخبط هنا تاني، أما يكون جمال  
هنا هتلاقيها هنا، غير كدا مش عاوزه اشوفك  
هنا يا خالد يا ابن إسعاد أبو الحديد، و ده  
احسنك

أغلقت الباب فتحرك دخلت فخلعت العباء التي  
كانت ترتديها فبدت كيوم ولدتها أمها وتحركت



حتى دخلت إلى غرفة نعمات وعلى سريرها  
 الصغير وجدته قد ارتدى ملابس  
 - انت ماشي ولا اي؟  
 -مين اللي كان عالباب  
 - ابنك خالد  
 -كان عاوز اي  
 - كان فاكر إن ست الحسن هنا  
 -داهيه تاخده هو وأمة في ساعه واحدة، انا  
 قولت أنها هي اللي قالته يجي.  
 - ايه انت هتمشي بجد ولا أي؟  
 -انا مبقاش فيا نقطة دم، همشي عشان لو  
 فضلت هنبقي زي بعضنا و انا جنبك.  
 -يعني البس انا كمان بدل الوقفة اللي ملهاش  
 لازمة دي؟



- البسي، هي ليلة منظورة من الأول أصلا،  
البومة نذبت و انا طالع و بوز أمها شوم أما  
تندب في الموضوع لازم يخرب

- عيب، متقولش عليها بومة

- عيب! و اللي احنا بنعمله ده مش عيب، ولا دي  
بداية العيب؟

لم تتوي الإجابة فأمسكت بثيابها التي خلعتها  
وارتدها واحدة بعد الأخرى حتى وصلت إلى  
غطاء الرأس فطلبت من أن يأتي ليساعدها في  
تجميع شعرها الطويل المجعد، فساعدها فوضعت  
الغطاء على رأسها واعدت السرير إلى الوضع  
الذي كان عليه قبل اللقاء واطفاء الأنوار وغادرا  
كل من جهته لن يلتقيا مجدداً إلا عندما تطلب.

\*\*\*





أرض خالدين الخامسة صباحاً من اليوم التالي...  
 أمام دار إسعاد أبو الحديد وقف الأب مع ابنه،  
 ينظر الأب بتفحص وهو رجل خمسيني له كرش  
 صغير ظاهر من القميص الكاروهات الذي  
 يرتديه، حواجب مرسومة أفصل من جميع نساء  
 القرية، شعر ابيض متطاير من الأمام والوسط  
 وكثيف من الجانبين، وجه لا توجد به شعره غير  
 الموجود في الحاجبين و الرموش، أسنان حرم  
 عليها الفرشاة كأبيها وأخيها، صعوبة في التنفس  
 يخرج الزفير بالهباب - كما نعتة البعض- الذي  
 يشربون فيقاوم التقيؤ من تنفذ تلك الرائحة إلى  
 فتحات أنفه يسعل الأب فيبصق على الأرض  
 وينظر لابنه نظرة أخرى:



-ايه يا روح أمك، مش ناوي تبطل شمشمة على بنت جمال مش ناوي تشوف مصلحتك فين؟

-مصلحتي فين يا حج؟

-في شغلانه تاكل منها عيش، أو أي مصلحة تقلب منها رزقك، يبني انا لو عايشك النهاردة مش هعايشك بكرة، الدنيا صعبه و الحمل ثقيل، وانت طري

-عايشلي؟! و هتعايشلي؟! طيب اقنعني بيها  
أصدقها دي ازاي يا حج؟ قولي حاجة واحدة  
توحد ربنا عملتها عشاني، بلاش عشاني يا حج،  
قولي حاجة واحدة عملتها أو بتعملها أو هتعملها  
عشان حد غير نفسك وبعدين مين ده اللي طري  
يا حج؟ ده انت شغلك كله كدا برابطة المعلم أنا  
اللي مدورة، لو انا مش وراك كان زمان البيت



ده خرب من زمان انا طالع عين اهلي ألم وراك  
 و انت تقولي شمشمة على بنت جمال بنت جمال  
 دي يا حج هي اللي انا عارف انك مش بتحبها  
 ولا بتحب جمال، ولا هتحب حد فيهم، أصلها بنت  
 شاهندا، نسيت شاهندا لو هنعبر إني بشمشم،  
 ده جايلي منك يا حج انا مش عارف ارفع عيني  
 في حد بسبب اللي انت عملته عشاتها زمان،  
 وزي ما انت عارف بقي "اللي ميطلعش لأهله  
 يبقي ابن حرام" و انا طلعتك اهو يا حج  
 تصدق، انت المفروض تتباهي بيا، تقول للدنيا  
 كلها ربنا بعثلي نسخة مني بس أنا مش هعمل  
 زيك واطلع من المولد بلا حمص، اللي هاخده من  
 وراها اكثر بكثير من اللي انت معرفتش تاخده  
 من أمها.



-تاخذ ايه من مين؟ بيني البت دي هي وأبوها  
مبيعمروش في مكان عامر، و احنا الحكومة  
دخلتلنا مية نضيفة واستغينا عن خدماتها هي و  
أبوها، ولا أنت ناوي تتعلم السحر اللي كانت  
ستها اشطر واحدة فيه؟

-السحر اللي كنت عاوز شاهندا عشان تتعلمه!

-لو كنت عرفت أسرار سحرهم كنت ملكت  
الأرض كلها من اول هنا لغاية آخر ما وصل علم  
بني آدم، كنت هكون أمام الأرض، كانت هتيجي  
تبوس أيدي ورجلي عشان أرضى بيها وكنت  
هرفضها، فضلت ابن على الصباغ عليا عشان  
أبوة مالك المية، مع أنه وقتها كان أضعف لأن  
أبوة طرده في الوقت اللي كنت أنا أقوى و ماسك  
شغل ابويا كله بس ازاي، ازاي إسعاد ابن سعيد



ابو الحديد الغلبان ياخذ بنت حامد السماك، حامد  
كان طماع وملاح زيتنها في عيون الإنس  
والجن، حريم أرض الإمام تمن اتسخطوا قروود  
في عين ابن الصباغ وساب كل الحريم دي وجه  
عشان يحاربني هنا وياخدها ويطلعلي لسانه،  
يقولي أنت تعبت اكر عشانها وتستحقها اكر  
بس هي اختارتي انا، اختارت اللي لو الدنيا  
اتبدلت حاله مش ممكن يتبدل، بس تعرف لو انا  
مكانها كنت هعمل نفس الحاجة، واحد أبوة يملك  
عشرة طن ذهب وهو الوريث الوحيد، دي تزغل  
عين الشيطان مش عيونها هي بس.

-عرفت بقي أن المشكلة مش فيا، مش في لفي  
ورى بنت جمال زي ما انت بتقول، المشكلة  
عندك، اصل انت ضلع المثلث التالت، المحبوبة و



ابن الغني، كان لازم يبقي فيه مُحِب عشان  
القصة دي تكمل

-هما خلاص مش هيرجعوا تاني أرض خالدين،  
الحكومة نزلت مية نضيفة، خلاص مفيش جرام  
ذهب واحد هيطلع من هنا ليهم خير "خالدین"  
بقي لأهلها مش لأي حد تاني، ولا انت ناوي  
تمشي و تروح لهم أرض الإمام، عندك استعداد  
تكون في بلد مفياش حاجة تعرفها وكل حاجة  
تعرفها في بلد تانية، أهلك و ناسك في بلد و  
انت عشان ست الحسن في بلد، يبني ملعونة  
الغربة و ملعون اللي يجي من وراها، يبني احنا  
هنا مستورين، احمد ربنا هيراضيك، اه ممكن  
تكون مش مضبوطة، بس مش واقفة فاهمني  
يبني.



- فاهمك يحجوج

- طيب يلا نروح نشوف اكل عيشنا.

\*\*\*

أرض الإمام... دار الصباغ...

يجلس على كرسي أبيه، ينظر إلي الخريطة و  
إلي الصور الجوية لأرض الإمام تظهر تلك  
الصور السيارات و الدراجات النارية، على طول  
جانب طريق الأشجار القديم الأيسر امتدت  
السيارات كما امتدت الأشجار، من كل شكل ولون  
اشترك جميعها في طبقة من التراب كستها  
وألبتها ثواب الخراب، منذ اتي السيل الذي دمر  
كل أرض الإمام، هدم المنازل، أخرج محطات  
الكهرباء عن العمل، خرب خزان المياه النظيفة  
الذي كانت تعتمد عليه أرض الإمام في حياتهم



وحياة السيارات، السيارات تعمل محركاتها بالماء النظيف، يستهلك المحرك مائة لتر من المياه النظيفة، ثمان مائة جرام من الذهب لعمل المحرك، وعلى قدر المسافة المقطوعة تحتاج إلي مياه صالحة حتى يصل إلى المكان المراد، آثر قاطنوا أرض الإمام حياتهم وذويهم على السيارات، قبلوا بالعودة إلى عصور ما قبل الصناعة والاعتماد على الخيل و الحمير و البغال في الانتقال بعد أن جفت مياه السيل ظهرت في الأفق قرية اختفت فأصبحت كأن لم تكن بالأمس حتى أتى جده "عبد العلي الصباغ" أتى بأشجار غرسها على جانبي طريق المقابر فأنشأ طريق الأشجار القديم، قديم لأنه نشأ مع ظهور أرض الإمام مرة أخرى بعد أن أخفيت بفعل المياه شديد





خزانات مهيبة لتخزين المياه، وضع أساس مقابر أرض الإمام، وفي يومين أخرج مقام أم العواجز، بني داره التي أطلق عليه دار الإمام، وقد كان كذلك بحق، أعاد إعمار الجزء الذي أراد إعماره من الأرض في شهر واحد قال أحد الذين حضروا إعادة الإعمار أن الملائكة و شياطين الجن كانوا له عواناً في هذا وقال البعض الآخر أنه أمر الشياطين فسجدوا، أمر الملائكة فأطاعوا، أمر السيدة زينب بنت علي أم العواجز الحوراء أن تأتي لتُبارك تلك الأرض فاستجابت، فرح بكرامات أُلصقت به ولم يكن لمثله أن تكون له آتي بعده ابنه علي وسار علي هدي سير الأب خلفه سلسبيل ابن عبد النبي إسماعيل فتبع نفس المنهج، علمها لابنه إمام ونسي أن الماء



ليس له، تناسى أنه مُستأمن على هذا الملك حتى يعود الذي من نسل الإمام صاحب الكرامات، عاد جمال فرفض سلسبيل إرجاع الملك إليه، بل وأمر بهدم كل المنازل إلا دار الإمام و المقام، هدمت المباني التي شيدها السكان و أعادوها إلى الطور الأول من المباني، بنوها بالطوب اللبن.

أضاف سلسبيل هيئة ملك الماء على دار الإمام وهو ما لم يقدر أحد من دار الصباغ يفعله، أصبح لدار الإمام نفس قداسة المقام في نفوس الناس، بل أنها كانت تزيد في أوقات الشدائد التي يفتعلها في الخفاء و يتصدى لها في العن، أضفى على الدار هيئة لم يضيفها على نفسه، وضع أساس أن يصبح الملك في إحدى بناته الثلاث، أو في ابن سيرزقه الله به في المستقبل تلك



الهيئة هي التي ساعدت جمال في إعادة ملك أبيه عن جده عن جده بمجرد وفاة صاحبه سلسبيل أرادت أم إمام أن تجعله يخلف أبيه صغيراً، احتج جمال على هذا الأمر داخل الحلق والحلق هو أقرب مكان من مقام أم العواجز، احتج بنسبه للإمام، احتج بأمر جده الصباغ الأكبر للشياطين و الملائكة فأطاعوه احتج بإعادة إعمار الأرض بعد تدميرها، التف حوله أصحاب الخزانات الفرعية و اصحاب العربات وأصحاب دواب الجر، ظهر للعمال برداء المخلص من ظلم السابقين، عزف سمفونية العد فسار عوا بالرقص آمنوا به وبعده فنصروه.

حدث نفسه ألم يأن أنت نتظهر من أفعال الماضي، لم لا نتوب من قتل الذين قتلوا من قبل،



بالتأكيد سيَتوب اللهُ علينا كما تاب على إخوة يوسف، كما فعل مع خالد ابن الوليد ارتكبت خطيئة القتل؟! إنه يغفر الذنوب جميعا إنه غفور رحيم أصبح ابن الساحرة صهري، والله يتوب على الساحرة قتلت كل المقربين من غير أهلي، الأهل هم الذين عرفوا ولم يقتلوا، الأهل لم يقتلوا لكونهم الأهل، نجوا من القتل لأنهم لا لم يكونوا يشكون خطر عليه، لو علم ان على الصباغ يشكل خطر عليه كان سيقتله بأمر من على الصباغ نفسة ستقتل ابن الرجل الذي له الفضل في نجاة ابن الصباغ وكونه كما هو الآن؟! ستقابل اليد التي حملت لك الخير بغرس انيابك بها علمك أبوك عن أبيه أن كل ما يتعارض مع المصلحة أحق بالإزالة هذا مع كون دفع المفسد



مقدم على استجلاب المصالح لم يحدث كلام  
النفس إلى سيل من أحداث الماضي حالت دون  
مقدرته على اتخاذ قرار صائب في شأن ابن  
صاحب الفضل أمر صفوان أن يأتي فأجاب الأمر  
وحضر أمامه:

- ايه رأيك يا صفوان

-الراي رأيك يا ابن الإمام

-ايوه، انا ابن الإمام، الإمام اللي أعاد الحياة  
لأرضه بعد ما موتتها السما، وابن الإمام بيعرف  
اللي العوام مش ممكن يعرفوه، تجليات روح  
الإمام تساعدك على البصر، انا شايف إن الواد  
ده هيكون له شأن في حياة نعمات، في يوم  
ممكن يساعدها زي ما ساعدني أبوها، زي ما  
أبوك ساعد ابويا وجدي قبلك، تفتكر يا صفوان



-وليلة لا يا ابو الملك؟!، انت تعرف اللي يعجز  
خادم زي صفوان يعرفه.

قطعت نعمات الحديث فلما رآها قام من على  
الكرسي وأجلسها، وانتقل إلي الجهة المقابلة إلي  
جانب صفوان، صمت الجميع فالصمت في  
حضرتها أصبح فرض على الجميع حتى تأذن  
وتعلن استماعها للناس، ما فعلها من بني  
الصباغ قبلها أحد أبداً:

-مقام الحوراء، ومقام الإمام.

نظرا الي بعضهما البعض إليها ولم يعقب كلاهما  
فأكملت:

-يحصل حاجه لو اتبني جنبهم مقام تالت؟

-كثره الحاجة يا بنتي يضيع قيمتها

قالها صفوان



-أي اللي في دماغك يا بنت الإمام  
قالها الأب فابتسمت وقامت من جلستها وأشارت  
إلى مكان مقام الحوراء ومكان مقام الإمام على  
الخريطة واحد يختفي ويطلع مكانة واحد تاني في  
يوم وليلة،

نظرا إليها فعقبت:

- مقام أم الخلفية، زوجة ابن الإمام، ستنا شاهندا  
صاحبة المعجزات، بشهادة كل سكان أرض  
خالدين...

انتفض الأب حينما سمع تلك الكلمات وسأل

-مين المُحدث؟

فأجابت :

- إسعاد أبو الحديد

-مين الخدم؟



-خالد أبو الحديد، نورهان، عبدالله، ابن صفوان،  
الراجل المحبوس وأصغر حد من دار سلسبيل.

-هنعمل كدا إزاي؟

-سيبوها عليا، انا عاوزة كل سكان أرض الإمام  
يناموا الجمعة آخر اليوم يصحوا الجمعة أول  
اليوم، ودي سهلة يا صفوان، اعملها عن طريق  
المية وأنا هروح لأرض خالد بن ابيب اللي  
نحتاجهم منهم و انت يا ابن الإمام تحضرلي  
أنس النبي اللي اختفى من ايام صاحبك

بارك ما تقول رغم خشيتهما، الاقتراب من مقام  
الإمام كُفر به وبأرضه، وبطاقته التي بذلها في  
سبيل القيام بإعادة إعمار الأرض بعد تدميرها،  
ولكنه أمر معرفو منذ بدأ الخلق، من يملك لا  
يُعارض، حينما عارض الذي ظن نفسه أفضل





حكم عليه بالطرد من الملكوت إلي النهاية،  
وسيظل مطروداً حتى بعد البداية الأخرى .

انصرف كل منهم ينفذ ما طلب منه ذهب يوم  
الأربعاء إلي أرض خالد بن حياث الإرث الضخم،  
وجدت نورهان تتظف الدار، تبادل السلام  
والمصافحة العناق و القبلات وجلستا، وبعد  
جلسة دامت أكثر من ساعة كانت نورهان قد  
افاضت في الحديث عن ابن أبو الحديد ومجيئه  
إلى الدار و السؤال عنها، وحدثتها عن مرضة  
بعد المرة الأخيرة التي رآته فيها وعن سبب ذلك  
المرض، تحدثتا عن نساء أرض خالد بن ورجالها  
و بناتها وأطفالها وأحوالها، حتى بهائم خالد بن  
لم يسلموا من سنتهما وبانتهاء تلك الجلسة  
كانت نورهان قد وافقت على الذهاب للعيش في



أرض الإمام هادفة إلى خدمة الست شاهندا  
صاحبة المعجزات.

ذهبت إلى عبد الله فاستقبلها احسن استقبال  
عرضت عليه أن يذهب إلي أرض الإمام لخمسة  
أعوام مقابل ملكية المحل فوافق على الفور، قدم  
الشاي فشربته ثم غادرت إلي دار إسعاد أبو  
الحديد طرقت الباب ففتح لها خالد، أصابه فرط  
الحركة يغمض عينيه ويفتحهما، يضحك تتسارع  
ضربات قلبه:

-انتي جييتي أمتي؟

-حالا، نزلت من هناك أول حد جه في بالي هو  
انت و أبوك قولت لازم اروح اشوفهم، انت عامل

ايه يا خالد

-انا فراشة



-مين عالباب يا خالد،

قالتها الأم فأجابها بأعلى صوته والذي سمعته  
فحياً:

-دي نعمات.

خرجت فسلمت عليها واحتضنتها وطلبت منها  
الدخول، فدخلت.

ذهبت الأم لتعد واجب الضيافة للجارة الغائبة منذ  
زمن.

-أيه سبب عدم سؤالك يا خالد، جيران احنا ولا  
مش جيران؟

-اكثر من جيران.

- أمال اي بقي يا ابن الأصول

-عاوز اوصل الود بس مش لاقى الطريق، انتي

و أبوكي فين؟ سألته المرة الأولى قالي انكوا في



أرض الإمام، حاولت أوصل معرفتش، سألته  
 المرة الثانية فين أرض الإمام دي؟ قال بكرة تكبر  
 وتعرف، سألت عبد الله قال مش عارف و سألت  
 نورهان قالت مش عارفه انا دورت عليك ثلاث  
 سنين من ساعة ما مشيتي كل يوم اقول النهاردة  
 اوصل، و اصحى تاني يوم اقول النهاردة،  
 النهاردة، النهاردة، النهاردة لغاية ما شكيت أن  
 النهاردة مش هيجي و العمر هخلص قبل ما  
 اعرف مكانك.

- طيب و اللي يعرفك أرض الإمام دي فين؟

- عمري، ياخذ عمري وأكون مبسوط.

- اممم انا جاية عشان اخذك معايا أرض الإمام،

محتاجه حبايبي جنبى الفترة دي عش...

قاطعها



- موافق

- اعرف انا عاوزة أي وبعدين وافق أو أرفض

- موافق

- اسمع،

- اسمعي انتي قولتلك موافق يعني موافق

- فين ابوك؟

- مشوفتهوش من يومين

- طيب انا لازم أمشي دلوقتي، بكرة على آخر

النهار هنمشي بعد آخر شوية نور نتحرك، و

اعمل حسابك انك ممكن تفضل هناك خمس سنين

أو ستة

- يا رب افضل العمر هناك

مشت فاتبعها حتي فتح لها الباب فغادرت وهي

تضحك...



فتي ابله، كان الله في عونهم على هذا التفني  
وكان الله في عونه على تلك الدماغ التي تستحق  
الكسر،

نظرت إلى صورة أمها التي تبرع لها التراب  
بطبقة من طبقاته، فذهب بما لألوانها من حياة،  
انزلتها من موضعها وبدأت تزيل عنها التراب  
وتأمل وجهة أمها، لم تراها هكذا من قبل، كانت  
تنتظر أن تنطق ولكن هيهات لما تنتظر، بعد أن  
أزالت طبقة التراب ارجعتها إلى مكانها وجلست  
تحدثها:

- عامله اي يا غالية، كنتي كل حاجه عندي بس  
معرفةش ده غير في وقت ملهاش لازمة المعرفة  
فيه، كل يوم توحشيني و اطلب من ربنا اني اجي  
عندك عشان افضل معاكي، بس خايفه لو ده



حصل يبقي معناه إننا مش هنشوف بعض تاني،  
لو كان المصير مش واحد و انتي كنتي في  
الملكوت كنتي في الجنة هل ممكن تشفني لواحدة  
زيي؟ انا اتغيرت و عارفه اني اتغيرت للأوحش،  
بس التغير ده كان مطلوب عشان المكان الجديد  
اللي روحنا ليه، الخوف و الحاجة لازم الناس  
يفضلوا خايفين أو محتاجين عشان يبقي لينا  
قيمة، سمعته بيقول كدا انا عرفت اخلي كل  
الناس في أرض الإمام محتاجين و خايفين اللي  
يخالف يموت، أسهل حاجة اني أقول يا صفوان  
فلان يموت وكله بأمر ستنا، ستنا اللي سابت  
مكة أرض أبوها و بني هاشم أهله و البيت  
الحرام و الخير اللي هناك ده كله و قررت تتدفن  
عندنا في مصر و اختارت من مصر أرض خراب



مفيهاش حاجة عشان يكون فيها مقامها، وطبعاً  
 مش محتاجة اقولك أن اللي عملها المقام يبقي  
 جدو، الصباغ الأكبر و خالد ابنك مش بيود أخته  
 يا أم خالد زي ماي كون عاجبة الوضع، انا جايه  
 ازورك عشان اكلمك براحتي

\*\*\*

ترب خالدين، بعد صلاة العشاء...

سارت في الطريق الكبير المؤدي إلى عزبة  
 الأحباب والتي ستقطعها لتعبر الطريق الصغير  
 بين الحقول المؤدي إلى المقابر تجاوزت عزبة  
 الأحباب فوجدت على يمين الطريق الصغير مبني  
 تم تشييده في أعلى هذا المبني مصباح متوهج  
 يخرج منه ضوء اصفر يميل إلى الحمرة لا يبعث  
 على الاطمئنان يصيب المار بضيق الصدر





يخرج منه بضع صنابير المياه كتب أعلاها "ماء بارد"، أعلى تلك الصنابير رخامة بيضاء كتب أعلاها "سبيل على روح المغفور لها شاهندا حامد السماك" تحتها كتب "بسم الله الرحمن الرحيم : أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" صدق الله العظيم

كتب في السطر الذي يلي تلك الآية بسم الله الرحمن الرحيم "عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۗ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" صدق الله العظيم

كتب على آخر شبرين في تلك الرخامة " على كل من يشرب من هذا السبيل قراءة الفاتحة للمتوفاة والدعاء لها بدعاء خالص، وليدع الله أن يتقبل



هذا العمل في ميزان حسناتها ويجزينا خير  
الجزاء عنها ويسخر لنا من يحيي ذكرانا بعد أن  
نلقاه "

قرأت الآيات و شربت حتي ارتوت و قرأت  
الفاتحة لأمها وسألت الله لها التثبيت و الرحمة  
والمغفرة تسأولات كثيرة عن الذي شيد هذا  
السبيل على روح الأم لم تلقى لها إجابة فمضت  
في طريقها الي المقابر بين حلقتين أيمنهما من  
القمح و الاخر من الفول، طريق منحدر شديد  
الانحدار يوصل الي رقعة منخفضة مظلمة من  
الأرض يظهر مصباح كيروسين أعلاه زجاجة  
نمرة عشرة أمام واحدة المقابر، وقت متأخر من  
الليل مثالي لعمل نباشي القبور، تحركت على  
قشور بيض تخاف تكسرها حتى قبعت خلف



المقبرة المجاورة للمقبرة التي قصدها، اختبأت  
ونظرت من خلفها فوجدت الجالس رفاعي ( )  
لون الملابس مُنحني الظهر فعادت إلي ساترها،  
أقلت سمعها فوجدته يناجي ساكن القبر:

- عملت لك أي عشان تعملي فيا كدا، حيه  
وميته؟! مش كنت أنا أولي بيكي من الغبي  
التاني، الجوزة تمت بعد ما انتي مشيتي، مشيتي  
ونسيتي يا بنت السماك اينعم جوازه اي كلام من  
واحدة أي كلام بس انتي اللي عملتي كدا،  
روحتي معاه أرض الإمام وهو عيل، رجع معاكي  
خالدين سنه و غار في داهية، سابك ورجع  
أرضه تاني، ولا دي اللي أرضه؟ أصله عاش هنا  
فترة مش قليلة برضك، رجعتي انتي بنعمات  
وخالد وأنا كان معايا إحسان و خالد، خالد عبيط



زي أبوه، والنبي اعبط من أبوه، عمال يلف  
 ويدور على بنتك، انا سمعت إنها بقيت الخليفة  
 في ملك الصباغ، بعد موتك خالد مقدرشي  
 يستحمل قرفه وسابله الدنيا كلها وطفش محدش  
 يعرف راح فين اللي فضلت متبته فيه هي البت،  
 البت طلعتله يا شاهندا، تصدقي لو كانت طالعه  
 لأمها كنت هجري أجوزها الواد وخالد عشان  
 كانت كل ما تطل قدام عيني هشوفك فيها بس  
 اللي طلّع نصيف زيك الواد، و الواد شرب من  
 أبوه اللي مقدرشي يستحمله ومشى جهر  
 بصوته وضرب باب القبر عدة مرات، انتي  
 عارفه إني لو كنت عاوز أوقف الموضوع و  
 اخربه كنت هعمل كدا، و اللي كان بينا يشهد  
 بكدا، كل ليلة كنا سوى فيها تشهد هدوء المقابر



وسكون الموتى أخلاه فخفض صوته وبصوت  
منخفض مع ضحكة أتبعها بضرب كفية ببعضهما  
أحببتك لما رأيتك عظيمة العجيزة ضخمة النه ..

قطع حديثه صوت أقدامها، فوجدته قد اكتحلت  
عيناه بالدمع، أحمر أنفه وسالت دموع ابليت  
وجنتيه ولحيته الخفيفة، أراد أن يتحدث فسبقتة:

-بتسلم عليك، جاتي في المنام وقالتي يا نعمات  
اشكري صاحب السبيل، و كانت قالتي انك  
حبيتها زمان، بس هي وهي بتموت وصتتي  
اعرفك أنها فصلت تحبك لآخر نفس فيها و طلبت  
إني انقلها من خالدين لأرض الإمام، وقالت إنك  
هتكون أول المحبين و أهم المخلصين وسيد  
المريدين قالت حبيبي إسعاد أبو الحديد هو



الوحيد اللي يعرف يكلم الناس عن تجلياتي على  
القلوب.

قلب المُحب إسعاد أبو الحديد هو أكبر دليل علي  
تجلياتي على قلوب المؤمنين المُحبين خرجت  
روحة تجوب الملكوت وعادات، خرجت وعادات،  
خرجت وعادات، علمت أنه مثل ولده خالد له  
مداخل كثيرة وضعت يدها على واحد منها، ولما  
تأكدت أن نفسة الآن جاهزة لاستقبال المزيد من  
معسول الكلام مالت إلي أذنه وبصوت سمعها هو  
بصعوبة:

- انا اه بنت الصباغ لكن روعي هي روح حبيبتك  
المخالصة شاهندا، شكلي شكلها وروحها سكنت  
جسمي جنب روعي و انا مستعدة اتجوز ابنك  
خالد عشان تشوفها فيا اللي زعلتك زمان



روحها جاية تططب على قلبك دلوقتي قوم يا  
صاحب السبيل يا حبيب ستنا أم الخليفة شاهندا  
بنت السماك افرد ضهرك ببركة أم القلوب، أم  
الحنان، أم الخليفة زوج الإمام وأم الإمام  
قبل أعتاب قبرها وهو يردد:

-الف حمد ليك يا رب على قبول السبيل، الف  
شكر على هديتك اللي طبطبت على قلبي دي يا  
ست القلوب و صاحبة الحنان  
وانطلق إلي السبيل ينظفه ويطيبه ويضع العطور  
على جانبي السبيل وهو يردد

"مهو لو قسيتي زمان، انتي أم الحنان "

جلست أمام القبر وأزالت التراب الذي غطى  
الرخامة التي صنعتها هي بيدها فأخفى الكتابة  
التي كتبت عليها فظهر بسم الله الرحمن الرحيم



"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ  
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"

صدق الله العلي العظيم

أسفل منها كتب "مقبرة خاصة بشاهندا حامد

مبروك السماك" اللهم اغفر لها وراحمها

قرأتها وفاضت أعينها من الدمع، قرأت فاتحة

الكتاب وبالغت في طلب الرحمة والمغفرة لساكنة

القبر

-لازم يكون بينك وبين ربنا حاجة، يعني تبقي كدا

و اللي انتي معاه كدا هو اللي يعمل سبيل على

روحك، طيب ده هو اللي كان يستاهل، بس خير

انه طلع شايل كل الحلو في قلبة و قافل عليه انا

جاية انقلك من هنا لأرض الإمام، هناك هعمل





منك شيء مُقدس، صاحبة الكرامات بقي هناك  
 مش هتكوني شاهندا حامد مبروك السماك  
 هتكوني أم الخليفة، هيبقى ليكي مقامك و اللي  
 هيرفع مكانتك في قلوب الناس هو إسعاد المُحب  
 اللي هيعمل أي حاجة بس عشان أقوله أنك جيتي  
 و راضية عنه و منتظراه في الملكوت، في جنة  
 عدن هو يصدق يقوم مكرم الناس عن معجزات  
 أم الخليفة و إزاي ساعدت مساكين أرض خالدين  
 و إزاي حافظت على بيوت الناس من الدمار اللي  
 كانت هتسببه لعنة خالدين اللي كانت بتصيب كل  
 فقراء خالدين اللي بيسرقوا من الناس، يعرفهم  
 شجاعتك في الوقوف للعنة دي و إزاي قدرتي  
 توقيها، بس الأكيد أنه مش هيقول إن مكانش  
 فيه لعنة و إن القصة كلها كانت من سحرك و



سحر ملاح اللي جبتوا بيه الأبالسه ولاد الأبالسه  
يخربوا كل عمار ويحولوا كل اخضر بور، وكل  
ما حد يتأذى تقولوا أنه سرق و السرقة في  
خالدين أعظم خطيئة ممكن يرتكبها بشر، زي  
السحر في أرض الإمام مع انها مش هتفرق كثير  
سرقة زي سحر، دي السرقة أهون الف مرة من  
السحر، اللي بيسرق ده يا أما عنده عيال مش  
لاقي يوكلهم أو مرا تعبانة و محتاجة تزور  
الطبيب، أو عليه دين وقته دخل ولازم يتسدد أو  
يتاخذ عيل من عيالة يروح لصاحب الدين الضنا  
غالي برضوا قواعد خالدين هي السبب في كل  
السرقة اللي حصلت و اللي بتحصل و اللي لسه  
هتحصل قدام، انت تيجي لواحد خلف و ربي و  
كبر و تيجي عشان دين عليه لأي سبب ابنه



بتأخذ منه و يروح لصاحب الدين يعمل فيه ما  
 بدالة حتي لو أبوه سدد دينه، الحرامي في  
 خالد بن بطل مش مجرم، بطل لأنه عاوز يحمي  
 ابنه أو يداوي مراته أو يأكل عياله، وبعدين  
 الحرامي في خالد بن يسرق من الأغنياء اللي  
 سرقوا يعني كلها في الآخر بتسرق من بعض  
 عملي السحر وجيبيتي الأبالسة بطريقة ملاح و  
 خلاص بقيتي انتي و هي حامد السماك المنقذين،  
 المنقذين اللي ربنا بعثهم لأرض خالد بن عثمان  
 يخلصوها من آفة السرقة فظهرت القاعدة،  
 المديون ابنه للداين، فزادت السرقة، أصل  
 محدش هيفرط في ضناه عثمان خاطر شوية  
 ديون عليه ربنا بيبتلي الناس بالناس، و انتوا  
 كنتوا البلاء و الفتنة لسكان خالد بن.



عادت إلى الدار ولما أصبح أصبح ذهب إلى إليهم وأخبرتهم أنها سوف تنقل الرفاة اليوم مع غروب الشمس سيفتحون المقبرة ويخرجونها إلى التابوت الأخضر التي جاءت به من الأرض الأخرى، سوف يحمل التابوت على أكتافهم حتى يصلوا إلى وجهتهم، سأل خالد لماذا الحمل على الأكتاف مع إمكانية النقل بالسيارات، الماء النظيف متوفر هنا بشكل مجاني، و المسافة بين خالدين وأرض الإمام كبيرة جدا على أن يتحملوا حمل هذا التابوت حتى هناك قالت سننقله بالسيارة وعندما تظهر أرض الإمام في مرمي النظر سوف نحمل التابوت على الأعناق حتى نصل إلى المقام.

\*\*\*



أرض الإمام، الخزان الرئيس...

في مساء يوم الخميس وبعد أن سكن الجميع وارتاحوا من عناء يوم شاق، العمل في جلب الخزانات مرهق للغاية وصيانتها مرهقة و تجهيز دواب الجر صعب، موت تلك الدوائر محزن لصاحبها ولسكان الأرض، دواب الجر هنا مقدسة وقف صفوان أمام الخزان ينظر إليه وينظر إلى ابن الصباغ فأشار له ابن الصباغ مانحاً إياه الإذن، ذهب إلى لمخزن وأحضر جوالين كتب عليهما "الراحة" بخط أسود على لونهما البني وضعهما بالقرب من الخزان، حمل منهما واحد وصعد به إلى أعلى الخزان على سلم خشبي كبير:



-بلاش تحطهم دلوقتي خلينا بكرة آخر النهار،  
 كدا مية النهاردة خلصت من عند كل الناس، وبده  
 نضمن أن كلهم يشربوا من المية بتاعة الجمعة،  
 إنمالو و حطينا الأمانة دي بكرة فيه ناس مش  
 هتتاثر.

دار الأمين سعد...

حقيبة مملوءة بالملابس و الاغراض على سرير  
 أسود بدون ملاءمة، أرضية الغرفة غير نظيفة  
 قصاصات ورق هناك وأكياس بلاستيك هناك،  
 بعض التراب الناعم يغطي تلك الأرضية، دولاب  
 مفتوح لم يبقي به إلا بعض الملابس، ملابس  
 مزركشة رثه مُلقاه على الأرض، بُلغة كانت لأبيه  
 شعيب مقلوبة على السرير بجوار الحقيبة،  
 جريدة الأخبار عدد صادر منذ عشرون عاماً في



الصفحة الأولى بالخط الأحمر "من مراسم تكريم  
الأمين سعد شعيب عبدالعزيز مدين"

أسفل هذا العنوان صورة له بالزي العسكري  
وهو يرتدي وسام منح إياه لمحافظته على حياة  
سكان أرض خالدين " حصل البطل الأمين سعد  
بعد قتله للمجرم حسن الاسكافي والذي كان يريد  
تدمير صفوف الحياة على سكان أرض خالدين  
بوضع المواد السامة في خزانات المياه التي  
تغذي أرضهم، عاث في أرض الخالدين فساداً  
فكان له سعد مدين بالمرصاد، رصده فلما رآه  
أقدم على فعلته الغادرة صوب مسدسه إلى رأسه  
وأطلق عيار ناري هشم جمجمة هذا الخائن، خان  
الأرض والناس، لأنه طُبع عليها، أبوه بكر خالد  
الاسكافي، خُلق الغدر من أجل الإسكافية، تُطعمه



و تسقيه ويقتلك لأنه يريد مالك، يريدون ملك الدنيا وهم غير مؤهلين لهذا، يريدون أن تدور الأيام ويصبح السادة عبيد والعبيد سادة ولكن هيهات لما يريدون نركن إلى ركن شديد ركن الأميين سعد، ولدينا ألف من الأميين سعد مخلصون وعلى أتم الاستعداد لتقديم الروح فداء لأرض خالد بن

احفظ بتلك الجريدة تلك الفترة ليتفاخر أمام زوجته وابنة عمه كوثر المعروفة "بسكسكة"، زواج برائحة البُغض، حياة لا يصح أن توصف بأنها حياة، تُضرب كوثر مثلما يأخذ المضادات الحيوية، ولكنها سئمت تلك المهانة فقررت أن هذه هي الآخرة، لن تقبل هذا الأمر بعد اليوم البتة، وهو عندما وصل لسن التقاعد وترك ما





كان يعمل شعر أن هيئته راحت مع خلع البدلة،  
اطاعها في أخذها لزيارة مقام الحوراء، واعتزم  
عدم العودة لضربها لما علم أنها أقسمت على  
قتله إن بسط إليها يده بالأذى من جديد دلف إلى  
الغرفة الضيقة فسألها ما إذا كانت قد انتهت  
فأشارت إلى كيس أسود كبير مُلقى على الأرض:

- دي الزبالة

-طيب ارميها فين

- بص فيها الأول لو محتاج منها حاجة

فض الكيس البلاستيك فوجد البدلة و الأوسمة و  
قصاصات الجرائد والمجلات التي تنشر تكريماته  
على الأعمال التي قام بها نظر إليها فعاجلته:



-أكيد كل حاجه منهم وراها مصيبة زي ابن  
الإسكافي وانا مش عاوزة افكر اي حاجه  
بخصوص الفترة دي.

طأطأ الرأس خجلا وطلب أن يتركهم هنا ولا يلقي  
بهم في مكان القمامة، فأجابت طلبه أقدم على  
الصورة التي تجمععه بصديقه كمال فوضعتها  
واغلق الحقيبة وحملها إلى الخارج، عاد مرة  
أخرى فوجد بُلغة أبيه فوضعتها مع البدلة و  
القصاصات والأوسمة وانزلهم على الأرض  
وبقدمه دفعهم إلى أسفل السرير ركبوا العربة  
وتحركا إلى أرض الإمام.

\*\*\*

ترب خالدين، في نفس الوقت



كانت الراقدة قد أخرجت من مرقدها ووضعت في التابوت الأخضر وحملت على الأعناق حتى خرجوا من بين الحقول إلى السبيل، أتت السيارة فوضع التابوت بها لتعبر به عذبة الأحباب إلى دارها لتقف أمامها مرة أخيره قبل أن تغادر أرضها للأبد، دخلت وتركت الجمع خارجاً، أحضرت إحدى صورتها والتي كانت قد أزالوا عنها التراب، فتحت الأخضر ووضعت الصورة على صدرها وأمرت بحمله فحمل على الأعناق ووضع بداخل السيارة التي ستأخذه إلى اقرب نقطه من أرض الإمام، مضت في طريقها حتى بزغت أشجار أرض الإمام نزلت، فنزلوا وحملوا التابوت بقطع من الليل، وعندما أصبح الجمع على حدود أرض الإمام رأوا مصباحين قادمين



من مكان بعيد، يمر الوقت ويقتربا من الجمع،  
نظرت نورهان إلى المصباحين وإلى خالد:

- دي عربية يا خالد

لم يهتم أحد لما قالت غير إسعاد الذي رمقها  
بنظرة ثاقبه لفتت أنظار الجمع ولكن لم يعقب أحد  
وقفوا حتى دنت منهم السيارة يقودها ابن شعيب،  
وحينما أصبحوا على بعد أمتار قليلة من السيارة  
أخرج راسة من السيارة:

- يلزم أي خدمة

لم يجب أحد فتوقف واقبل على ترك السيارة و  
القدوم عليهم فأشارت إليه خليفة الصباغ بيدها  
ألا تأت

- متشكرين يسطي، شوف طريقك .



فتابع سيره، فسألت سكسكة عن هذا التابوت الأخضر فأجابها بأنه لا شأن لهم بهذه الأشياء.

دخلا إلي مقام الحوراء وكان خالياً على نقيض حالته الطبيعية، فقد كان لا يتركه المريدين في أي وقت، حتي في أوقات النوم كان ينام الخدام و المحدثين على أعتابه سلمت عليها وجلست على كرسي المحدث ونظرت إلى الاخشاب الملونة باللون الاخضر و التي كتب عليها بعض آيات القرآن، مكتوب بلون أسود باهت على قطعه من هذا الخشب تاريخ تشيد هذا المقام والذي يرجع ألف عام من تاريخ هذا اليوم صمت ثم نظرات فاحصة، تهيد ثم سؤال:

-إزاي المقام ده من أكثر من الف سنه وشكلة جديد كدا؟



- ممكن الألوان اتجددت.

-الخشب....

قالتها وحركت يدها على الأخشاب الخضراء:

-الخشب ده عمره مش اكر من مية سنة،  
الخشب اللي من ألف سنة شكلة أضعف من كدا  
انما ده جامد و قاسي لسه دي بداية حياته .

يتحرك في المكان غير مطمئن لا يحب مثل هذه  
الطقوس و الأماكن ولكنها أقسمت عليه فأبره،  
هي جالسة على الأرض تحرك يدها على المقام  
وتمسح بها الوجه و البدن وتطلب البركة من  
ساكنة المقام

"بركاتك يا ستنا، بركاتك يا بنت الإمام، بركاتك  
يا بنت بنت النبي، سلمي على سيدك وسيدنا  
وسيد الخلق، وصلي سلامي للشافع المشفع،



قولي له سكة لبت وجايه، لاء قولي كوثر جت

يا سيدنا وبتلطب العون "

قطع تلك الجلسة دخول جمال وسؤالهم عن سبب

المجيء إلى أرض الإمام فأجابته:

- جينا ناخذ بركة ستنا العقيلة بنت العقيلة بنت

الإمام

- يلا اطلعوا من هنا، مش مسموح بالزيارات

اليومين دول.

- مين اللي مش سامح؟

- صاحبة المقام

- هي بتكلمك؟

- كل ليلة بتجيني في منامي تأمرني بمرادها وأنا

ما عليا إلا التنفيذ.

- شكلها إزاي؟



-مش مسموح لعبد فقير زيي أنه يوصف صاحبة الكرامات غير بعد ما ياخذ منها الإذن.

- وازاي تاخذ الإذن؟

-ستنا هي اللي بتقرر، وبعدين مش أي حد ستنا تتفضل عليه بالإذن ده، مبينولش الشرف غير مُحبينها المخلصين اللي مستعدين لتقديم أغلى ما يملكو لو هي طلبت.

- نجيلها امتي تكون سمحت؟

-الله أعلم

مد يده ليصافحه وهو يعرف نفسه:

-أنا سعد مدين، أمين شرطة خالدين، وكان ليا الشرف و الفضل في إنني احافظ على أرض خالدين طول فترة الأمانة لو محتاج أيتها خدمة بخصوص أمن الأرض أو أمن السكان أو المية





انا في خدمة أهل الإمام في أي وقت ومستعد  
لتقديم أي حاجة بشأن أرضي التي هقضى عليها  
الباقي من عمري تكون بخير و تبقي قادرة على  
اي حاجة في اي وقت

\*\*\*

أرض الإمام بعد عشرين عام من تشييد مقام أم  
الخلفية...

وقد اصبحت أرض تبعد عن تلك المنطقة التي  
قضى جمال عليها أكثر أيام شبابه، حيث كانت  
تلك الأرض منذ ما يربوا على ثلاثين عاما،  
حاضر تلك الأرض الذي هو الآن من الثراث  
نتيجة للسرعة التي تسير بها هذه الأيام، العقود  
الثلاثة التي مضت مرت على تلك الأرض كأنما  
هي ثلاثة قرون أتذكر ملامح تلك الأرض و أتوق



إلى أيامها الأولى فقد كانت أرض يعيش فوقها  
 أناس تظهر في ملامحهم طباع و طبيعة هذه  
 الأرض ظهرت الأصالة في طباع هؤلاء الناس  
 كما ظهرت في الأرض ظهر الكرم في طباعهم  
 أيضاً كما ظهر في الأرض حيث كان هؤلاء  
 الناس يخبرني بأمرهم أبي عندما كان يعود من  
 العمل في تلك الأرض يخبرني أن هناك على بعد  
 آخر من البعد الذي أعرفه يوجد حياة مختلفة  
 كلية عن الحياة التي أعرفها يخبرني عن  
 أشخاص يجودون بما يملكون من الطعام و  
 يؤثرون علي أنفسهم الناس ولو كانوا في أشد  
 الحاجة الي ما يجودون به، ها هو (عبدالاله)  
 الراعي يصيح على أصدقاء حرفته الرعاة و  
 يدعوهم ليتناولوا الطعام و ما إن اجتمع الرعاة



حتى أخرج من جُعبته بضع كسرات الخبز التي  
قاربت على انتهاء مدة صلاحيتها للاستهلاك و  
كيس بلاستيك أبيض به قطعتين من الجبن  
ممزوجتان بالتراب و بعض القش الذي كان في  
تلك الجُعبة، و كانوا يتناولون تلك الوجبة التي لو  
تناولها أحد في وقتنا هذا لأصيب بأمراض لا  
حصر لها ولا عد. كانوا يتناولون تلك الوجبة و  
يتبعونها بأكواب من الشاي يوضع على أعواد  
من الخشب المشتعل، في أدوات هي الأخرى  
سبب من المنظور الطبي الحديث لإحداث  
الأمراض الفتاكة التي تؤدي بحياة الأفراد و ها  
هي (فتحية) القماشية و قد جمعت حول مجلس  
بيعها النساء من كل أرجاء سوق الإمام لتعطيهم  
بعض الماء البارد لكي تروي منهم الظمأ و



تعرض عليهم أثواب القماش التي ابتاعها من أرض خالدين و كان النسوة يبرعن في بخت أثمان بضائع أرض الإمام بالرغم من أن هذه الأرض بها أفضل جميع الأشياء علي الإطلاق، فيها أفضل الزروع و بها أفضل البضائع التي يريدونها كل باحث عن الجمال فيها أفضل الرجال جوداً و عاش عليها أفضل النساء عفة، أطفالها خير أطفال و شبابها خير الشباب كله، و كهولها خير الكهول في هذا الوقت، أرضها خير الأرض و سمائها خير سماء، الطير فيها خير طير، و هواء فيها خير هواء و الطين فيها خير طين و الأشخاص خاص سكنها خير سكان هذا في عين سكانها فالمثل المصري يقول "القرد في عين أمه غزال"



و في يوم مشهود في سوق أرض الإمام حاول أحد الأشخاص الاستيلاء على مال (بتعة) بائعة الخبز عنوة بعد أن لطمها عدة لطمات و اتبعها ببضع لكمات و ما إن رآه (علي العبد) هب على فورة لنجدة تلك المرأة العجوز و رد المتاع إليها بعد أن اوسعه ضرباً و قد كان هذا الشخص هو (صابر محسن) الشهير "بالذحوك" و هو على النقيض من نظرية لومبروزو شخص أبيض شديد البياض ذا صدر صغير، انف صغيرة، وجه به من آثار الجروح ما يربوا علي الخمسة أكثرهم قبحاً هو الذي يطوق جبهته من أقصاها إلى أقصاها عريض المنكبين لا يعلم أحد له أصل فهو لقيط وجد منذ زمن مُلقى علي جانب الطريق، وقد كفله أحد الرعاة حتي بلغ العاشرة



من عمرة و لما زادت دروب السوء التي سلكها  
ضاق بالراعي زرعاً فطرده الي خارج مُقامه و  
اقسم عليه لو رآه علي بعد كيلومتر من منزلة  
سوف يقتله و ما إن خلى الناس بينهما حتي  
توعده "الذحوك "

- متفكرش إنها خلصت كدا، و ديني لأطلع(....)

-انت لسه بتجيب دم ، بلاش، افتكّر إني قولتلك  
بلاش

-عليا الحرام من نعمة ربي ما هحك...

و قد أخرج مطوأة قرن غزال و أشار بها إلي  
(علي) :

-وهيكون بالعاشورة بتاعتي

وقد بدأ رواد سوق الإمام يحدثونه و هو لا يُلقي  
لحديثهم بالأّ



- يا ابني ده عيل شمام ليه تورط نفسك معاه  
 -يلزمك تخلي بالك من نفسك لأنه عيل غدار و  
 ملهوش امان  
 -انت شكاك غلبان مش لاقى غير ابن الكـ (...)  
 ده و تتشاكل معاه.

في الأيام الراهنة أصبح فيها كل شيء غريب و  
 نتج لهذا أيضا اندثار لمعظم الأشياء التي كان  
 يحافظ عليها السكان جاهدين حضر ابن مدين  
 إلى السوق وكان قد قارب على الثمانين من  
 عمره ولكنه ظل محافظا ببعض القوة أخذ  
 بموجبها على عاتقه أمر تنظيم سوق الإمام  
 اختلفت نعمات عن اسلافها في أمر إعمار أرض  
 الإمام أنشأت السوق وجلبت البائعين من كل  
 أرض مجاورة لأرض الإمام منهم من اتى من



أجل الذهب وقليل منهم اتى لزيارة مقام الحوراء ومقام أم الخليفة الذي خلد سكان أرض الإمام إلى النوم مساء يوم الجمعة فاستيقظوا صباح يوم الجمعة، اخبروهم أن أم الخليفة أول كراماتها هي إعادة الزمن الذي مضى لمن أرادت، رأى السكان هذا بأمر أعينهم ساعد وجود مقامها على زيادة مخزون الذهب في دار الصباغ من واحد طن في مئة عام إلى سبعة أطنان في عشرين عاماً فقط، كان كل شيء يحدث باسم أم الخليفة والتي فاقت شهرتها أم العواجز زينب بنت الإمام على.

نادي ابن مدين على الذلحوك و على كل شهود العيان الذين رأوا ما حدث فجاء الذلحوك بصوت خرج بصعوبة حاول أن يجعله غليظاً منخفضاً:





-أيه ياد يا ذلحوك، هو مفيش غيرك في السوق  
مفيش غير الذلحوك في أرض الإمام كلها اللي  
بيعمل مشاكل؟

-أبدا والله يا عم سعد، انا كنت بعمل اللي انت  
قولت عليه بالحرف، وعلى لحم بطني من  
صباحية ربنا، أخذت رغيّف من البت باتعة  
عشان أكل وماخدتش منها أرضيه يعني يعتبر  
دافع فلوسه، قامت المعلمة راقعه بالصوت قال  
ايه باخد منها البضاعة، مالى انا ومال بضايهم،  
اتكاتروا عليا وضربوني، و اللي ساعدهم في  
ضربي الواد الأبيضاني ده و أشار إليه.

أمر بأخذهم جميعاً إلى دار الصباغ لتتخذ محكمة  
ويقضى على المخطئ بما يستحق من عقاب.

\*\*\*



دار الصباغ، حجرة الخريطة ..

اتخذت اللون المميز للطريقة القادرية لغطاء  
رأسها اللون المميز لإبراهيم الدسوقي  
لحجابها، نصف رداؤها السفلي كان مأخوذ من  
الطريقة الرفاعية، سواريتها استمدا لونهما من  
الطريقة الأحمدية ووضعت على رأسها تاج من  
الذهب يجمع كل تلك الألوان منذ موت جمال،  
انتظرت أعوام لعل الغائب يعود ويرث ملك أبيه  
عن أبيه عن أبيه ولكنه آثر لقب الخليفة الغائب  
وتركها وحدها، أدارت إرث تاريخي ضخم جدا  
من ملك للماء والذهب الذي زاد أضعاف ما ورث  
ابوها من أبيه، لم يأت وتركها، هي التي كانت  
دائماً ما تخبر نورهان بكونها تتوق إلى عودته  
ليحمل عن كاهلها ما ثقلت حياتها بحمله، أيامها



لا يميزها شيء منذ أتمت إعمار أرض الإمام،  
 شديت مبانٍ كثر، أصلحت إضاءة طريق الأشجار  
 القديم، أصلحت الجسر الذي كان يُغلق بعد صلاة  
 المغرب ولا يُفتح إلا بعد صلاة الفجر، آتى كل  
 هذا وأعلن عن غزو رأسها

وهي جالسة على كرسي الوالد تنظر إلى  
 الخريطة بعد أن قامت بتعديلها على النحو الذي  
 أوصى به المتوفى إلى رحمة مولاه، قطع تلك  
 الجلسة مع الذات صوت خالد أبو الحديد

- ابن مدين بره و عاوزك تحكي في مسألة

- انت ازاي يا خالد تدخل عليا بدون استئذان؟!  
 على العموم اطلع جهز القاعة و دخلهم ،  
 وحسابنا بعدين.

\*\*\*



القاعة التي تم تجهيزها...

جلس مؤنس ابن صفوان أمامه دفتر أسود كُتب عليه بلون أحمر "أحكام الإمام" على يمينه أقلام ونفس الشيء على يساره، وصل إلى مكانة كاتب الأحكام بإخلاص أبيه في خدمة علي الصباغ ومن بعده جمال ابنه، مات صفوان مثلما مات جمال، ماتوا لأنهم استهلكوا حصتهم من العيش التي قدرت لهم في اللوح المحفوظ، نفذت ضربات القلب التي جعل قلبهم صالحاً للقيام بها، انتهى رزقهم الذي كتب الله لهم فأصبحت حياتهم لا فائدة منها ولا معنى لها، فقضوا نحبتهم وسلموا أرواحهم إلى خالقها، حمد ربه على تلك المكانة التي وصلها وانتظر دخول القاضية استأذن ابن مدين وأخبر خالد أنه يريد التحدث



نعمات قبل أن تدخل إلى القاعة، يدخل خالد إليها بعد أن يحصل على إذن بالدخول، أخبرها بخبر ابن مدين فأذنت له فأدخله إلى الغرفة التي دخلها للمرة الأولى منذ وطئت قدمه أرض الإمام، هذه هي المرة الثانية التي يتحدث فيها إليها فقد كانت توكل أمر الحديث معه لخالد أبو الحديد، حسبها ملكة من ملكات العصور الوسطى، فاتحني لها، أمرته فوقف وأمسك بظهره لثواني معدودة قبل أن تأذن له بالجلوس، جلس أمامها ينظر إلى ثيابها و إلى التاج و الخريطة و الكرسي مختبر نظافة المياه، تدور عينه في أرجاء الغرفة فتضرب الخريطة عدة ضربات فينتبه:

-قالولي إنك عاوز تكلمني قبل ما ندخل القاعة...

قاطعها



-اه، موضوع مهم ومينفعش يستنى...

لم تعقب فأكمل :

-مش هينفع يطلع حكم على الواد اللي برة، هو  
اه ابن حرام و اللي رباه مستحملش قرفه ورماه  
رمية الكلب، وعشان تبقي عارفه الواد يستاهل  
الحرق بجاز، لكن مش عاوزين ننسى أنه اللي  
عرف ينظم أمر السوق بأمرى بعد ما فشل كل  
الناس اللي رشحهم خالد أبو الحديد في تنظيم  
السوق بالشكل الممتاز اللي عملته الذلحوك ،  
اسمه صابر محسن مع إن اللي لقطه عبدالاله  
الراعي، الواد شاف ياما في حياته من أول أمه  
الخاطيه اللي جابته في الحرام، رميتها ليه، عيل  
وعى لقي كل الخلق بيقولوا عليه ابن ال.....

قرر ألا ينطقها وأكمل:



-وفوق كل ده شايل تنظيم السوق ومانع المشاكل، لازم كل الناس تعرف إنك ليكي قبضة من حديد بيشوفها أي حد يفكر يجي على راجل من رجالتك....

قاطعته:

-ده من رجالتك انت، والظاهر انك كبرت يا سعد يا ابن مدين ومبقيتش قادر تسيطر على الناس اللي مشغلهم، مشاكالك بقت كتير، كتير لدرجة اني مبقيتش قادرة أتحملها، ودلوقتي يا أذكي اخواتك بتطلب من بنت الإمام جمال الصباغ تظلم، انا معنديش ظلم يا سعد.

-على عبد العلي الصباغ.

وضعت التاج عن رأسها ونظرت إليه فأتبع:



-الراجل ده كان جدك من حوالي خمسين سنة  
 دا عني فروحت للدار اللي في أرض خالدين، أول  
 ما دخلت من الباب لقيت بني آدم متغطي و مكان  
 راسه غرقان دم، كشفت وشه لقيته براس  
 مطرشقه زي البطيخة، من شكله عرفت إنه  
 إسكافي الدار سألت عن سبب اللي حصله و مين  
 عمل فيه كدا قالي جدك كلام منسيتهوش ولا  
 عمرى أنساه قالي:

- يا سعد انت لو عندك كلب، ياكل و يشرب من  
 خيرك و يتحامي في بيتك لو حد عاوز يطولاه،  
 وبيتك يمنعه، والناس تعمله حساب بس لمجرد  
 أنه من بيتك، الكلب اتسعر و دور العض في أهل  
 بيتك تعمل أي؟! رد هو قبل ما أتكلم تسمه؟! بس  
 انت متعرفش الغدر والخسة، تشنقه؟! قلبك





برضك مش هيتحمل تشوفه وهو رافض الموت  
و بيصرخ تريحه و تريح نفسك و تريح الناس  
منه و تضربه طلقه، هي دي تضربه طلقه،  
شافني مخضوض فبدأ يتكلم -عجيب الإنسان ده،  
هو عارف إنه كدا كدا ميت، اصل مشوفناش حد  
خذ عليها، و بيحاول دايمًا يشيل فكرة الموت من  
دماغه خالص عشان يعرف يطاوع نفسه  
وشيطانه، بينسي إن ربنا شايفه و أنه هيروحله  
و الحساب هناك صعب على أقل حاجه هيتحاسب،  
هيتحاسب أما يعرض الأيد اللي اتمدت ليه بالخبر  
يستاهل يتحاسب ولا لاء؟! يتحاسب أما يخون  
ولا لاء؟! ياخذ جزاء الغدر ولا لاء؟! والإنسان  
برضك روحه عزيزة عليه حتى لو كان زي الكلب  
ده هو مش شاكك أنه هيموت بس جهلة بالمكان



و الزمان و ايه اللي بعد كدا بيخليه يفكر إنه  
هيشتري عمره بشوية أدوية و مشاوير الدكاترة،  
احنا ناس مؤمنين و عارفين إن اللي بتيجي

ساعته بيسلم

- مين ده؟!!

-كلب، ربنا يرحمه.

-مات ليه؟

- رزقه خلص في الدنيا

-مات ازاي أو مين موته؟

-مات ازاي اتضرب طلقة عملت فيه زي ما انت

شايف أما بالنسبة لمين اللي موته؟ خلاص أجله

ساعته حلت، و كان الأمين سعد شافه بيلقح سم

في الخزان الكبير، عاوز يرجع الأرض العمار

للبور تاني قام الامين سعد هوشه و فضل يشتم و



يضرب في الهوا ظرف ورا ظرف آخر زهقه جه  
 يضربه جنب رجله عشان يوقفوا قامت مفتوته و  
 جابه في راسه فرتكتها. شوفت الموضوع بسيط  
 ازاي يا سعد؟

-بس حضرتك ده مضروب من قريب

-أنت يا سعد كنت عند الخزان وضربته أول ما  
 نزل

-يا باشا، قاطعه

-دي مكافأتك تمن تلاف جنية و زيادة حصتك من  
 الميه خمسة وعشرين في المئة و بعدين انا  
 سامع انك هيشرفاك عيل قريب و انت عارف إن  
 الخزان زي ما انت شاييف الخزان العمومي  
 اتسمم خلاص و معادش نافع و العيل ده محتاج  
 حصة و لو انت مش عاوز براحتك لأننا ناوين



نقل الحصص بنسبة خمستاشر في الميه كانت  
 المرة الأولى خدت الفلوس و زادت حصتي و  
 عدت و بعدها بكام شهر لقيته بيرن عليا تاني  
 روجت لقيت بت متكفته وعريانه قالي عاوزينها  
 تسكت ياسعد و شوف عاوز ايه و هي كمان،  
 ولو مش بالذوق يبقي هي اللي اختارت.....

تتهد ثم أكمل:

- و سكتتها و على كدا كنت أنا البعبع اللي  
 أصحاب الأرض بيخوفوا بيه الناس ربنا رزقني  
 بالعيال اللي فضلت مستتية يشرف عُمُر، عمر  
 كامل مستتي اشوفه، شوفته بيكبر يوم بعد يوم  
 قصاد عيني لغاية ما بقي عيل حلو كدا، لو كان  
 موجود كان زمانه زيك كدا، وبعده مراتي بطنها  
 رفضت الخلف تاني زي ما يكون ده عقاب من



ربنا على كل الغلط اللي أنا عملته في حياتي، زي ما يكون صابها العقم مع انها خلفت قبل كدا، بس كان واد ابن موت، يلا ميغلاش عالي خلقه.

- وعاوز توصل أيه بالكلام ده يا ابن مدين

-الراجل ده اتقتل بسبب جزمة اتعملت و معحبتهش الست الوالدة، هانت الراجل، مستحملش، نادت لجدك، قتله، وغطيته وراضاني، و البت ماتت عشان السيد الوالد عمل معاها الغلط ولما جت تطلب حقها في أنه يدي اللي في بطنها اسمه، عملوا فيها اللي انتي عارفاه متقوليش ظلم، انتي كل اللي فيه من النعم دي بسبب الظلم، الذهب من الظلم، ملك الميه من الظلم، سوق الإمام من الظلم، مقام أم الخليفة من الظلم، واحدة زي شاهندا دي ازاي يتعملها مقام و



الناس تزورها، دي إسعاد أبو الحديد مسابش  
 حد في خالدين غير وعرفه اللي كان بينهم،  
 مفتحش بوقه غير بعدما ساب الأرض أبوكي  
 ورجع أرض الإمام.

-متقولش الكلام ده تاني يا ابن مدين "إن الملوك  
 لهم ضربة الأسد وغضبة الطفل " و دي كمان  
 من الظلم، وبما إن الظلم مكمل وماشي مفيهاش  
 مشكلة لو جينا عالبت بتاعة العيش عشان خاطر  
 الدنيا تمشي، لو حدك الصباغ موجود كان هيعمل  
 كدا، لو ابنه جمال موجود كان هيعمل كدا، لو  
 الست الوالدة موجودة كانت هتعمل كدا، الوحيد  
 اللي لو كان موجود مش هيعمل كدا هو الخليفة  
 خالد الصباغ ابن أبوكي.



-طيب اطلع يا ابن مدين و عرف الحضور  
يحترموا مجلس القضا.

دخلت ترتدي التاج ذا الثلاثة ألوان جعلت اللون  
الأحمر في مقدمته، أضفى عليها شيء من  
الوقار، هيبة بعثها في نفوس الجالسين. وقفت  
أمام الكرسي ليكون مؤنس ابن صفوان جالس  
على يمينها، قام الجميع فأجلستهم وجلست تنظر  
عرض كل صاحب حق لما يركن إليه في الادعاء  
بهذا الحق، انتهى كل مدعي بحق من عرض ما  
يؤيد حقه فقضت لكل ذي حق بحقه وألحقت  
الأضرار بمغتصبي الحقوق، فصاح الناس جميعاً  
"يحي العدل، يحي العدل، يحي العدل" حتى أتى  
موعد النظر في الشكاوي المقدمة ضد الذلحوك  
هاجت القاعة فالمدعين بحقوق لهم عنده كثير،



والكل ينظر أن يحكم لصالحه ضد الذلحوك كل مدعٍ بحق نال حقه وحصل على المدعى به وكان يصيح كل منهم بعد الظفر بالحكم "يحي العدل، يحي العدل، يحي العدل" حتى أتى الوقت الذي تنتظر فيه مظلمة بائعة الخبز و الشاب الأبيض.

اشرأبت أعناق الحاضرين للعدل، سرد كل طرف في تلك المظلمة إياها وفقا لما يجعله ضحية، بكت وعلى صوته، استفتحت حديثها بقوله تعالى "وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون"

عرضت شكواها بما جعل الحاضرين مذهولون منها، وهي التي -على حد وصفهم- لا تعلم إلا صنع الخبز وبيعه لم تخاطب فيها القاضية





ولكنها استمالت الانثى الجالسة على منصة الأحكام، بكت، أخبرتها بخبر زوجها طريح الفراش وبالمرض الذي أكل قوته فأصبح لا يقدر على رفع كوب ماء يشربه بدون دعم منها أو من أحد الأبناء، بكت من كثرة العيال وحر الفرن وإرهاق الجلوس في السوق، على شبابها الذي أكله الزمن تحت بعل مرض وهو في مقتبل العمر وعيال يجب أن تقام ظهورهم رغما عن الدنيا التي تآبى أن يستقيم ظهر أمثالهم فيها إلا بسعي لم يبلغوه بعد، شكت ضيق الحال، طلبت منها أن تأخذ أولادها ليكونوا خدام لها ولدارها لقاء النوم والطعام ناشدتها بعدل لا وجود له إلا في ذهنها وأمثالها:



-انت ستتا بنت مولانا و إمانا الله يرحمه  
ويرضى عنه جمال الصباغ ابن إمانا على ابن  
إمانا عبد العلي ابن الإمام الصباغ الكبير الست  
والدتك شاهندا أم الخليفة صاحبة المعجزات،  
عمرنا ما سكيننا في عدك أو عدل أبوك أو  
أجدادنا شكوا في عدل صاحب المقام سيدنا  
الصباغ.

-علي سالم مخلوف حسن العبد  
قالتها وهي تنظر في الأوراق التي أمامها، فوقف  
من مجلسه فسألته:

-انت ضربت صابر محسن الشهير بالذحوك؟  
طال عنقه حتى شارف على أن يصل إلي سقف  
القاعة وقرر أنه ضربه:



-ضربته يا ستنا عشان ده عيل ابن حرام  
منعرفش لأهله طريق ولا نعرف أصله وفصله.

- هل ضربته بناء على حق؟

-كان بياخد بضاعة البت باتعة البياعة، وضربها  
وأنا كل اللي عملته إني حميتها منه.

-يعني انت قبلت عليه اللي رفضته على باتعة؟  
اللي شوفت أنه مش من حقه واعتبرته معتدي  
اديت لنفسك الحق في إنك تعمله معاه؟

-ده عيل ابن حرام زي ما قولت لا نعرفله أهل  
ولا أصل ولا فصل

-سالم أبوك راجل غلبان، مالك انت ومال  
السوق؟ مين قالك إنك ليك حق في إنك تتصرف  
في حاجة انت أو أي حد في الأرض دي بدون  
اذني، يا ست.....



## قاطعه

-متقاطعنيش وأنا بتكلم يا ابن العبد، أبوك  
 ميقدرش يقاطعني، أبويا الإمام جمال ابن علي  
 الصباغ بمكاته عند أصحاب المقام ميقدرش  
 يقاطعني، انت مذنّب يا علي ولازم تاخذ جزاءك،  
 لكن كل حاجه لازم تحصل في وقتها، هتعرف  
 جزاءك وقت النطق بالعقوبات.

هتف الحضور "يحي العدل، يحي العدل، يحي  
 العدل" أشارت إلى الذلحوك طالبة منه أن يتحدث  
 ويدفع عن نفسه تلك الادعاءات، طلب ابن مدين  
 أن يدفع هو عن الذلحوك الادعاءات لأنه متبوع  
 منه فأذنت له بالحديث فبدأ يحدثها ويحدث  
 الحضور:



-الخليفة، بنت الإمام، السيدة نعمات بنت صاحبة المقام وصاحب الأرض شكراً على السماح للعبد الفقير سعد ابن مدين بالدفاع عن أحد تابعيه، احنا مش هنا علشان مشكلة صابر مع بتعه و الأخ ده، هتكلم عن الذلحوك، من وهو لحمة حمرة وهو بيحاسب على مشاريب مشربش منها حاجة، هو مختارش أنه يبقى ابن خاطيه، ولا اختار أنها ترميه وتحرمه من إنه يعرفها، مش هقولك اتحرم من الحنان، هو اتحرم من الحياة كلها من وهو لسه ابن سبع سنين و العيال اللي من سنه كل واحد فرحان بأمه و أبوه وكل عيل من دول مستتي يجي اسم أمه أو أبوه عشان يرفع راسه بيه، كان هو يخاف تيجي سيرة أهله عشان لقب ابن الخاطيه اللي ملازمة من قبل ما



يتولد كبر وبقي كل ما حد يشوفه يقوله يا ابن  
 كذا، كره دنيته وساب أرضه اللي اترمي فيها  
 أرض الجنوب ومشى لأرض خالد بن وهو ابن  
 عشر سنين، نام الناس وتاني يوم طلعلهم زي  
 الزرعة الشيطاني، مفيش جدر ليه ولا فيه أصل  
 سألوا عن أبوه قالهم أنه محسن هلال الأحمد  
 وأنه من سكان أرض الجنوب وبعته عشان يتعلم  
 صنعة تنظيف المياه في أحسن مكان في الوقت  
 ده وهي أرض خالد بن عاش فيها وأنا صاحب  
 أمانة الشرطة وكان مُطيع وقوي وشاطر في  
 شغله، أشطر من عمال خالد بن نفسهم، شاف  
 الدنيا هتضحكه في بلد غريب فيها حمد ربنا  
 على نجاته من اللقب اللي فضل ملازمة المدة  
 بتاعة أرض الجنوب كلها.



نام وصحي لقي محسن هلال في وشه، لقي كل  
الناس بتشكر في شغله ونادي عليه المعلم جمال،  
أو زي ما بتحبي تقولي الإمام ابن الإمام و أبو  
الخليفة، وسأله انت مين؟ فجاوبه بكونه محسن  
هلال، قاله صابر ابنك أشطر حد في عمال  
خالدين تماً، استغرب محسن هلال وطلب منه  
يوريه ابنه اللي بيتكلم عنه، نادي على صابر  
وقاله أبوك محسن هلال هنا وعاوز يشوفك طلع  
المسكين وهو عارف إن أكل عيشه أنتهي هنا  
خلاص طلع وشاف محسن هلال ...

ستر عليه و عدت أشار إليه فاقترب من مكان  
جلوسها وأشار على الجرح المطوق لجبهته، ده  
فادى بيه رقبة جمال الصباغ يوم ما الأحباب  
دخلوا خالدين و عملوا هجوم صعب على دار



الصباغ، كان يومها أبوك هيتقتل لولا صابر  
محسن حظ رأسه اخذ الضربه مكانة....

بعد فترة نام الناس تاتي يوم كان اتبخر، زي ما  
تكون الأرض انشقت وبلعته أو ركب الريح  
وسافر بيها، رجليه اخذته لأرض الإمام وهي  
لسه بتتعمر للمرة الأولى على ايد جدك على  
الصباغ ساعده في كل حاجة طلبها منه، لغاية ما  
ظهر واحد من أحبب خالدين في أرض الإمام  
وقال إنه راح أرض الجنوب وعرف من الناس  
إن فيه واحد ابن حرام مشي من الأرض هناك  
من فترة وقالوا إنه مسمي نفسة صابر محسن  
هلال، وهو مش ابن محسن هلال، محسن هلال  
معدهوش غير بنتين وعيل مات وهو ابن سنة،  
ابن الحرام ده هو اللي واقف في ظهر الإمام





على الصباغ وبيقوله يعمل أيه وميعملش اييه،  
 عيب عليكم لو قبلتوها على أنفسكم، ده عيل ابن  
 حرام ومينفعلش يملك أي حاجة من ملك الإمام  
 هي دي مشكلته الوحيدة، أنه ابن حرام كل الدنيا  
 بتحاسبه على حاجه هو ملهوش يد فيها وهو  
 صابر وساكت، انا بطلب إن باتعة و الواد الثاني  
 يتعاقبوا و يبوسوا على دماغه، ممكن بكدا نبقي  
 ردينا ليه حاجه من كرامته اللي راحت من يوم  
 ميلاده.

مالت على مؤنس ابن صفوان وطلبت رأييه في  
 تلك المظلمة فقال لها لتفعل كما قال لها ابن مدين  
 عندما دخل يحدثها قبل بداية تلك الجلسة، فإن ما  
 حدثها به هو عين الصواب والأقرب لتحقيق  
 العدل.



-قررنا إجابة كل طلبات المسكين صابر محسن  
 هلال الأحمد الشهير بالذحوك ونسبته إلى آل  
 بيت الصباغ، هو مني وأنا منه، وكل اللي هيقول  
 إنه ابن حرام حسابه معايا انا، الخليفة، بنت  
 الإمام وبنت صاحبة المقام المعظم.

هتف الجميع بما فيهم بتعة و على العبد، "يحي  
 العدل، يحي العدل، يحي العدل"

أعلنت انتهاء الجلسة وغادر الجميع لم يبقي إلا  
 هي و مؤنس صاحب الدفتر. سألته عن رأيه في  
 أن تجعل الذحوك هو الخادم الخاص بها بدلاً من  
 جمال أبو الحديد، سألتها عن السبب فأجابته بأنه  
 مُخلص على النقيض من جمال الذي اتي من  
 خالدين إلى أرض الإمام طمعاً في الذهب الذي  
 تمتلكه دار الصباغ رأي من كلامها ميل نحو



الذلحوك فوافقها الرأي وألصق بابن ابو الحديد  
كل الصفات السيئة التي اتصف بها والتي لم  
يتصف بها، جوداً من عند نفسه.

غادر هو ابن صفوان أمين كتابة أحكام الإمام  
وبقيت هي في قاعة المحكمة تنظر إلى المقاعد  
الخالية حتى دلف خالد إلى القاعة فانتبهت له  
واعتدت فأقبل عليها:

- أهلا بستنا بنت الإمام، ازيك يا نعمات، مش أن  
الأوان بقي تنفذي الوعد اللي اناسيت بيه أرض  
خالدين وجيت معاكي هنا، عملت كل اللي طلبتيه  
مني وزيادة وبقول إنه ده احسن وقت توفي  
بوعدك.

- وعد!، انهو وعد؟ فكرني

- الجواز.



نمت شفيتها، هزت راسها تأكيداً على تذكرها  
لهذا الوعد التي ودت لو أنها ماتت قبل إبرامه  
وكانت نسياً منسياً، ودت أن يُقبض ابن أبو  
الحديد لتحصل على السكون المنشود:

-احنا خلاص كبرنا على الكلام ده يا خالد، انا من  
رأي إننا نركز أكثر ازاي نفيد الناس الغلابة  
سكان أرض الإمام

نظر إليها نظرة اخترقتها ولم يتحدث فأتبعت:

-انت ازاي تدخل عليا غرفة الخريطة بدون  
استئذان؟

لم يجب فأكملت

-مينفحش تدخل عليا بدون استئذان مهما كان  
سبب دخولك، متساش اني بنت صاحبة المقام،  
هنا الناس بتعملي الف حساب ومينفحش يكون



فيه حد يقدر يدخل على بنت صاحبة المقام بدون إذن.

-صاحبة المقام، هي المشكلة كلها في اني متعلمتش من اللي صاحبة المقام عملته في ابويا، قولت إن ممكن الحية تجيب حاجة غير حيه زيها، طلعت غاطان الحية جابت حيه وعرفت بعد عشرين سنة، عشرين سنة ضاعوا جنبك يا حية يا بنت الحية، كل صباح يقوم على أمل أنه آخر صباح و كل مسا بيكون فيه أمل أنه آخر مسا وأنا خادم بنت صاحبة المقام الخليفة بنت الإمام، وانا ورحمة اب.....  
قاطعته:

-انت بجد يا خالد مزهقتش؟ مفيش يوم كدا فكرت أنه كفاية و انك ترجع خالدين تاني؟ انا مطلبتش



منك تفضل عشرين سنة ولا عشرة، انا طلبت  
 خمس سنين و بعدها انت جيت طلبت نفس طلبك  
 ده بعد السنه الخامسة كل صباح وكل مساء،  
 شوف انت دول يبقوا كام مرة، مفيش يوم كده  
 قررت انه يكون آخر مرة هتطلب فيه طلبك اللي  
 اترفض فوق الألف مرة و انت مصمم هو انا  
 سحراك عشان تعمل كدا؟

- طيب عاوز فرصه....

قاطعته

-فرصة أيه ، اللي أنت عاوزة ده مينفعش ، أمي  
 صاحبة المقام قالت إنني لازم افضل من غير  
 زواج عشان اقدر احافظ على مُلك العيلة،  
 صاحبة المقام ماتت و ابن الإمام بعيد عشان  
 يحافظ مُلكنا اللي ورثناه أباً عن جد، و أنت جاي



تكلمني في جواز ومش عارف ايه، اكبر يا خالد  
 وخذلك شوية ذهب وأرجع أرض خالدين تاني  
 عيش هناك ملك عليهم وهما مش هيعترضوا،  
 أصل سكان خالدين مش معترضين على أي  
 حاجة لأنهم من كتر المشاكل اللي عندهم مبقوش  
 عارفين هيعترضوا على أيه ولا ايه، كبروا  
 دماغهم ورضوا بالحياة اللي ربنا من عليهم بيها  
 في أرض حفظها ليهم الرب من غدر أحباب  
 خالدين، انت هتتفع معاهم يا خالد، شكر الله ما  
 فعلت من أجل إعلاء مقام صاحبة المقام في  
 قلوب المؤمنين المحبين من أرض الإمام.

- بس انا مش هسكت

\*\*\*

دار الإمام، غرفة الخريطة...







يبدأ ينسى أنه وسخ و يتعامل على إن ده العادي  
و الطبيعي، الشخص الوسخ بيكون وسخ بس في  
الفترة اللي بيعمل فيها الحاجة الوسخة، بعدها  
يبدأ ينسى أنه وسخ و يتعامل على إن ده العادي  
و الطبيعي، لازم ابن إسعاد أبو الحديد يموت،  
كان عندك حق في إنك تكرهه وتكره أبوه، دول  
لازم يموتوا وميعديش منهم ضفر للأجيال  
الجاية، الواد ده بيكره نفسه وعاوزني انا اقبله  
عادي، هما الناس دول يعرفوا يعملوا الحاجات  
دي بوش مكشوف كدا مش بيستعيبوها، انا  
عارفه أنه هيموت ويبقي مكاني، هو نفسه قالها  
مستني اليوم اللي اكون فيه مش خدام بنت الإمام  
و بنت صاحبة المقام، الواد ده عاوز يوصل لملك



تعبت فيه انت و جدي وجد جدي و أنا وفاكر إني  
 الغيبة اللي تصدق كداب وطماع زيه  
 قطع حديثها طرق الباب، أذنت للطارق فكان ابن  
 صفوان أشار برأسه إلى الخلف:  
 - الذلحوك

-قوله يدخل.

دخل الذلحوك فأمرته فانصرف وتركهما:

-طلبت منه أن يأتي ليجلس على المكتب الذي  
 تجلس هي في جهته الأخرى اعتلته لوحة مكتب  
 سوداء كتب عليها بالخط الذهبي "م. جمال  
 الصباغ" لم تغيرها منذ كان لوالدها فأقبل وجلس  
 لم تتحدث حتى بادرها:

-ألف شكر يا ستنا على اللي عملتيه معايا في  
 المحكمة، انا قولت انك هتخطي عليا باسم العدل



و الحق و الكلام ده بس ماشاء الله يعني قولتي  
حكم مفيش بعده، انا رقبتي ليكي يا ستنا.

-هو ده اللي كنت متأكدة منه يا صابر، ولا تحب  
اقولك ذلحوك؟

-يا ستنا انتي تقولي اللي على مزاجك، انا كنت  
عامل بلاوي كتير، ربنا بعثلي ابن مدين وبعثك  
عشان ارحموني من كلام الناس اللي بيموتني كل  
يوم، خير يا ستنا محتاجة الغلبان ذلحوك في  
ايه؟

- خدمة يا ذلحوك

-انتي جمالك مغرقاني، اطلبي و الذلحوك ينفذ.

- حتى لو كان قتل؟

-ان شاء الله يكون أكل مال يتيم، انا نفسي أرد  
لك جمالك ده.



- هو ده العشم.
- مين ابن الهرمة؟
- خالد أبو الحديد.
- عمل إيه الله يرحمه؟
- معملش، مبقيتش عاوزة أشوفه.
- يموت ازاي وامتى؟
- انت رأيك يموت ازاي؟
- مومت ربنا حلوة؟
- مفيش كلام، أحلى موته موته ربنا
- يموت امتى؟
- ينفع النهاردة؟
- ينفع ونص.
- هيموت إزاي؟



-شوية ميه وهو نايم يتبل بيهم قماشة ويتسد

بيها نفسة لغاية ما يطلع روحه، حلوة؟

- اللي يطلع منك يا ابن الأصول.

-ربنا يسامحك يا ستنا.

-انا قولت في الحكم إن مفيش مخلوق هيقولك

انك ملكش أصل، وانا أول الناس، أوعى تفتكر يا

صابر إنى بقول كلام وخلص، انا أول حد طبق

الحكم .

\*\*\*

دار الصباغ، مضجع خالد...

خلع ملابس، وضعتها في خزانة الملابس

الصغيرة، اغتسل وخرج من مكان الاستحمام

يلف بشكير أبيض حول خصره وقف أمام مرآه

غير نظيفة، مسحها براحة يده اليمنى فرأى



القابع في الجهة المقابلة للمراه، ابتسم وأخبره أنه كان يعلم أنها ستقتله ولكنه لم يتوقع أن يكون الأمر بتلك السرعة:

- كنت فاكرها هتفكر مرتين قبل ما تقتلني.

-انت عارف اللي فيها، تقدر نفذ، وهي تقدر.

-عارف انها تقدر، بس قبل ما تقتلني عاوز

أقولك إني خدمتها هي و أبوها عشرين سنة،

مفكرتشي مرتين قبل ما تجيبك تقتلني، أنا

عارف انك اللي هتاخذ مكاني، بس تفتكر هتيجي

اغلى من اللي قعد معاها عشرين سنة، الواحد لو

مربي كلب مش بيسمه، ودي عاوزة تموت

الراجل اللي خدمها عشرين سنة في نفس اليوم

اللي زعلت منه فيه، هتيجي اغلى مني يا

ذلحوك؟



- يعني عاوز أيه؟

-اقعد....

قالها وقد أطلق العنان لأسنانه فظهرت:

-انت هتسيبني امشي، هرجع أرض خالدين  
تاني، انا مليش عيش في أرض الإمام، كنت  
شاكك لكن دلوقتي انا متأكد اني خلاص مليش  
عيش هنا.

- مُقابل ايه

-هتعرف، لو شاء الله هتعرف، ذكرك هيتخلد  
زي الإمام و صاحبة المقام.

-هتمشي دلوقتي، و انا منتظر المقابل سواء كنت  
حي ولا ميت، وعلشان تبقي عارف، انا عمري  
ما قتلت، عشان كدا وقفت اسمعك، غير كدا كان  
زمانك بتزور أبوك أبو الحديد في نومته.



خرج منها خائف، توجه تلقاء خالد بن خالد قال عسى  
 ربي أن ينجيني منها ومن كل كرب، عاد إلى  
 خالد بن خالد كانت أمه قد ابيضت عيناها من الحزن  
 على بعثها الذي فارق بغتة، وابنها الذي جري  
 خلف ابنة جمال الصباغ، ترك الدار والأرض  
 وانغمس في ظلمات الرخص خلف النساء  
 نورهان التي تركت أرض الإمام منذ خمسة عشر  
 عاما تجلس في دارها وقد ظهرت عليها علامات  
 مُضي العمر عانقها وطلب أن يتزوجها طلبت  
 منه أن يترك لها وقت لتفكر في الأمر، ترك لها  
 الوقت الذي طلبته وتزوجا، بعد أعوام أنجبت له  
 ثلاثة بنات أسماهم أكبرهن نعمات والتي تليها  
 كوثر والأخيرة أسماها نادية ماتت نورهان في





عمر الستين بعد العودة من أرض الإمام بعشرين عام.

ترك البنات الثلاثة عند جدتهم لأهمهم وترك خالد بن من جديد إلى أرض الإمام نعمات قد ماتت ولم يعلم أحد مكان قبرها، خلفها في ملك ماء و زمام الأمور في أرض الإمام نعمات سلسبيل عبد النبي إسماعيل، عاد خالد واخبرها أنه خالد جمال ابن علي الصباغ وطلب منها أن يقوم بعمل يرجوا أن توافقه فيه.

\*\*\*

أرض الإمام، مقام أم العواجز سابقاً...

خالد أبو الحديد يجلس على كرسي المحدث، يرتدي ملابس خضراء مع غطاء رأس أبيض، اجتمع حولة المريدين جلسوا تحت اقدامه في



انتظار أن يحدثهم عن كرامات ساكن المقام، إمام  
لا يوجد في نسبه إمام إلا هو، أخذ الإمام  
باغتساله بماء غسل صاحبة المقام أم الخليفة، تم  
تغير اسم المقام من مقام أم العواجز إلي مقام  
الذحوك حدثهم عن كرامته فاستمعوا انصرف  
الجميع ولم يبقى إلا هو:

-بقيت زيك زيهم ، خالد خارج أرض خالدين ،  
خالد طيب الذكر في أرض الإمام حفظك الله،  
رحمك وغفر لنا ولك الله يا صاحب المقام

\*\*\*\* \*\* \*

شكراً لكل من ساهم في خروج هذا العمل  
شكر خاص للأخ و الصديق يوسف عبدالملك



# أرض الإمام

عاشت وحيدة وأبغضت الدنيا فسيقت إليها راغمة ،  
سيدة لم تكن تتطلع إلى شيء مما قرص عليها ،  
نادى الواجب فلبت ، همت بحمل تاج ملك أبيها  
الذي وضعه موته ، رفعتة على ما يدور في رأسها ،  
أرادت التخلص منه فكان منها كالروح من الجسد ،  
أبغضته كما كرهت الدنيا التي رسمها وأجبرها على  
الحياة فيها .

محمد السيد



تصميم الغلاف : المشرقة